الملك عبد العزيز آل سعود
(رحمه الله)

وتوحيد إمامة المصلين في الحرمين الشريفين

تأليف

د. فيصل بن مشعل بن سعود بن عبد العزيز

١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

ⓒ فيصل بن مشعل بن سعود بن عبدالعزيز آل سعود ، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل سعود ، فيصل بن مشعل بن سعود بن عبدالعزيز
الملك عبدالعزيز آل سعود وتوحيد امامة المصلين في الحرمين الشريفين. / فيصل بن مشعل بن سعود بن عبدالعزيز آل سعود .- الرياض ، ١٤٣٩هـ

..ص ؛ ..سم

ردمك: ٧-٧٤٢٧-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

١- عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ، ملك السعودية ٢- السعودية - تاريخ - الملك عبدالعزيز ٣- الحرمان الشريفان
أ.العنوان

ديوي ٩٢٣,١٥٣١٠٥ ١٤٣٩/٩٢٨٥

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٩٢٨٥
ردمك: ٧-٧٤٢٧-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

صورة تجمع الملك عبدالعزيز -رحمه الله- وخادم الحرمين الشريفين
الملك سلمان بن عبدالعزيز -أمد الله في عمره-

إهداء

بكل ما يخطه القلم وتفيض به المشاعر من القلب

أهدي هذا الكتاب وهذا العمل التوثيقي

إلى قارئ التاريخ السعودي الأول

وخبير صفحات الكتب بكافة مشاربها

مولاي خادم الحرمين الشريفين

الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود

حفظه اللّه ورعاه وأيده بعزه ونصره وتوفيقه.

المؤلف

ربنا لك الحمد

اللهم ربنا لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وعلمتنا، وأنقذتنا وفرَجت عنا.

لك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة.

كَبَتَّ عدونا، وبسطت رزقنا، وأظهرت أمننا، وجمعت فُرقتنا، وأحسنت معافاتنا، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا.

فلك الحمد على ذلك حمداً كثيراً.

لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث، أو سر أو علانية، أو خاصة أو عامة، أو حي أو ميت، أو شاهد أو غائب.

لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الملك عبد العزيز آل سعود (رحمه الله)
وتوحيد إمامة المصلين
في الحرمين الشريفين

تمت مراجعته واعتماده من قبل دارة الملك عبدالعزيز بالرياض

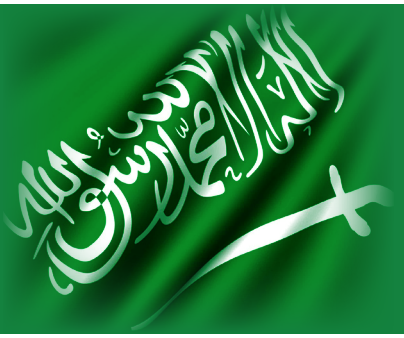

المقدمة

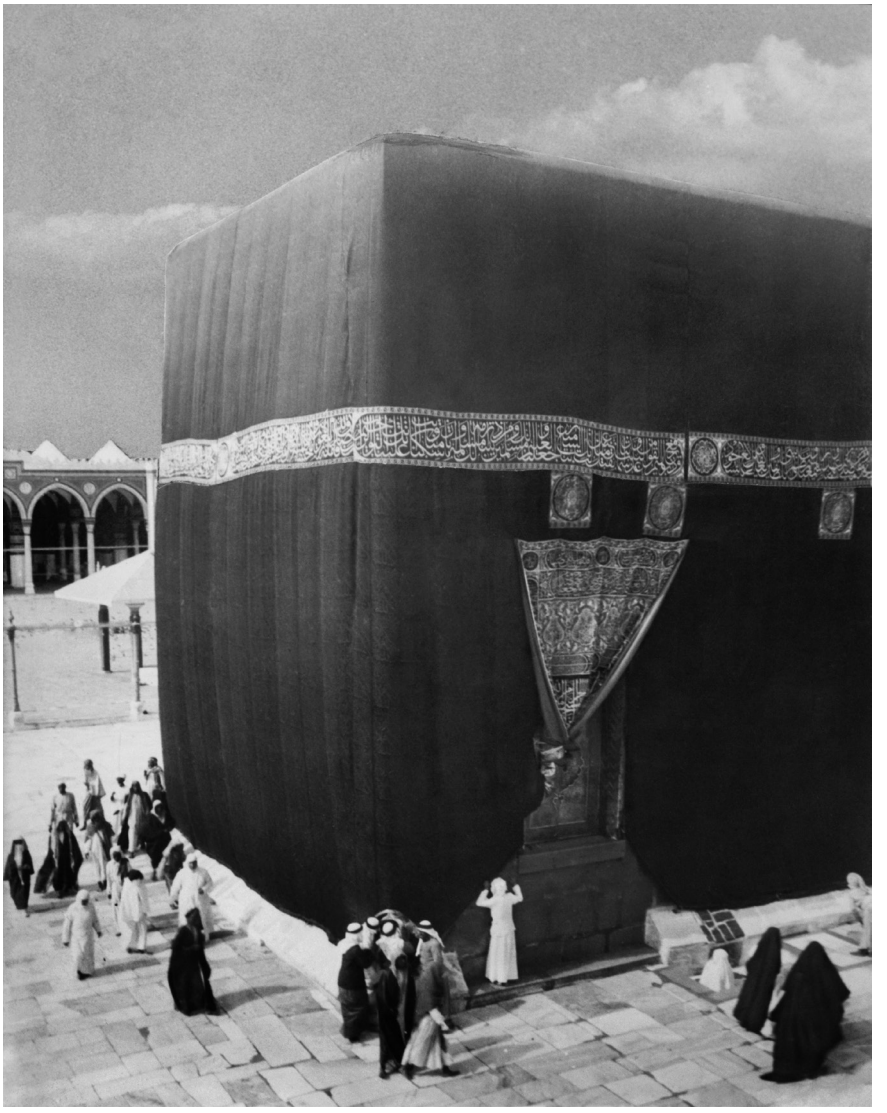

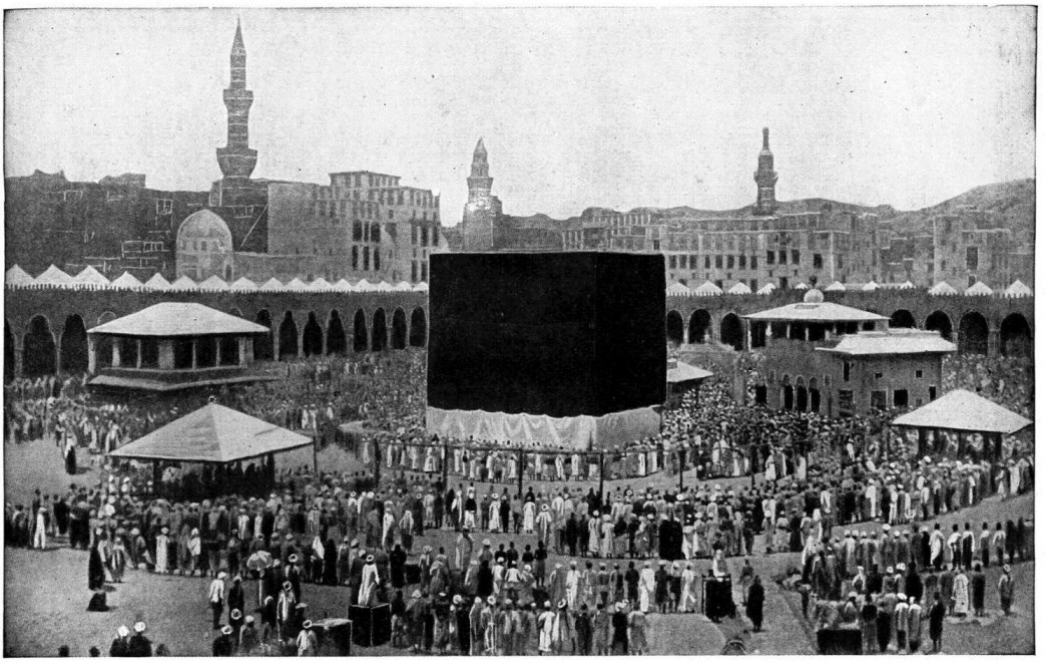

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد،

شواهد عدة تأخذ بناصية من يتأمل سيرة مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى أنه ـ رحمه الله ـ لم يكن ينظر إلى تأسيس بلاده بوصفه معركة أو مجموعة معارك جهادية، خاضها بنفسه، أو أرسل إليها قادته على رؤوس جيوشه، ليخضع نثار عدد من البلدان المترامية في شبه الجزيرة العربية تحت كيان واحد أصبح يسمى المملكة العربية السعودية، بقدر ما كان ينظر إليها نظرة الإمام الذي يؤم مصلين بعدما أذن فيهم وقبل أن يصلي بهم ظل يستدير يمنة ويسرة يتفقدهم ليتأكد من استواء صفوفهم، وملء فرجاتها، حتى تكتمل صلاتهم، ويغنموا أجرها عند الله.

لقد كانت فكرة وحدة النسيج الاجتماعي والإنساني هاجساً رئيساً عند المؤسس، حين أدرك مبكراً قبل أن تتكاثر نظريات علم الاجتماع وتصبح حديث الصباح والمساء في المنتديات والمؤتمرات وقاعات الدراسة، أن توحيد الكيان الوليد الذي أطلق عليه (سلطنة نجد)، ثم (مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها)، ثم (المملكة العربية السعودية)، لن يتحد بحد السيف وحسب، وأنه لن يكتمل ويصبح بنياناً قوياً إلا بتوحد قلوب المجتمع الذي يظله هذا الكيان، المجتمع الآتي من تاريخ الثارات والعداوات والتشرذم، في أرض كانت قبل أن تؤمنها ـ بعد الله تعالى ـ جيوش التأسيس، أرضاً للخوف.

إن النظرة إلى تاريخ المؤسس الملك عبدالعزيز بوصفه تاريخاً من المعارك

أسفر عن إخضاع أصقاع ما يعرفه العالم اليوم بالمملكة العربية السعودية، نظرة قاصرة مجحفة، في ظل ما يزخر به تاريخ المؤسس من مواقف تجسد حالة من الذكاء السياسي النادر، والقراءة العميقة لنفسية المجتمعات والقبائل التي أدرك ـ رحمه الله ـ أن السيف ربما يكون سبيله إلى التغلب على القوى العسكرية التي تحول دون اندماجها في كيان دولته الجديدة، على أن تنتهي مهمة هذا السيف تماماً بتسليم هذه القوى ودخولها تحت لواء المؤسس، أما مهمة دمج هذه المجتمعات والتأليف بينها وتنحية عداوات الماضي من ذاكرتها الجامعة المترعة بمشاهد الغارات والثارات والسطو والسبي والاقتتال، فمهمة تحتاج معالجة أخرى، وتناول آخر أقرب إلى عالم الدراسات الإنسانية والدراسات السوسيولوجية، ودراسات علم نفس الشعوب، وما نشهده اليوم من انصهار لهذه المجتمعات في مجتمع واحد عميق الانتماء إلى كيان واحد يعتز به الجميع هو المملكة العربية السعودية، يقدم دليلاً من الواقع على أننا لسنا بصدد الحديث عن قائد عسكري، بقدر ما نحن أمام قيادة إنسانية عميقة واعية تمتلك نظرة شمولية لها (كاريزما) نادرة، ممتدة التأثير عبر العصور والأجيال، ولعل هذا يزيل كثيراً من الدهشة حين يبدأ تأريخ كل مشهد من مشاهد الحضور السياسي أو الاقتصادي أو الإنساني أو الاجتماعي أو غيرها من مشاهد الحياة في المملكة العربية السعودية من زمن المؤسس، مما يعني أننا أمام قائد فذ بعيد النظر قارئ فطن حصيف لسنن التاريخ والخلق ولِسِيَر الأمم .

أتذكر عندما كنت أكتب بحث رسالة الدكتوراه عن التطور السياسي للملكة العربية السعودية وتقييم لمجلس الشورى عام 1420هـ التقيت بصاحب الفضيلة الشيخ محمد بن جبير رئيس مجلس الشورى حينها وكان الحديث والمقابلة عن بدايات مجلس الشورى وتأسيسه من الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في مرحلة التأسيس فقال لي كلمة لا أزال أتذكرها وهي من أكثر الأوصاف دقة لخصلة نادرة في الملك عبدالعزيز - رحمه الله،عندما قال الشيخ محمد بن

جبير (الملك عبدالعزيز يتميز بصفة قلما توجد بالحكام وهي ميزة استصلاح الرجال) أ . هـ .

وهذا ما حصل بالفعل إذ أنه رحمه الله جعل من أعدائه أصدقاء بل حلفاء واحتواهم وقربهم منه وعفى عن المتمرد منهم واستخدمه لخدمته واستخدم دهاءه - رحمه الله، في استصلاح الرجال وضمهم إلى صفوف رجاله حتى تحقق له مراده في وحدة هذه البلاد ووحدة القلوب ووحدة الأراضي وقبلها وحدة الإمامة في الحرمين الشريفين خلف إمام واحد، وهذه لعمري هبة من الله للإسلام والمسلمين لا يعلمها إلا من عايش الخوف والجوع والشتات قبل وحدة هذه البلاد الإسلامية الطاهرة ومهبط الوحي .

إن بداية فكرة هذا البحث كانت فائدة سمعتها عشرات المرات من العم صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز - رحمه الله - حينما كنت أتشرف بالعمل معه سنوات طويلة وقد سمعته يردد في مجلسه دائماً حتى بحضور ضيوف من خارج المملكة كيف كانت حالة الإمامة في الحرمين الشريفين وتشتت المسلمين وأن الملك عبدالعزيز - رحمه الله - عندما دخل مكة تساءل مع كبار أهالي مكة وعلمائها قائلاً (من يقصد هذا الحرم الشريف معتمراً أو حاجاً ويرى هذه المقامات وكل يصلي لوحده فكيف يعرف من يصلي خلفه من تلك الجماعات؟؟) وحينها وبعد أن استشار العلماء وكبار أهالي مكة أصدر أمره - رحمه الله - بتوحيد الإمامة في الحرمين الشريفين، كما سنرى في تفاصيل هذا البحث المختصر لهذا الإنجاز الإسلامي العظيم لتوحيد صفوف المسلمين .

المؤلف
د. فيصل بن مشعل بن سعود بن عبدالعزيز

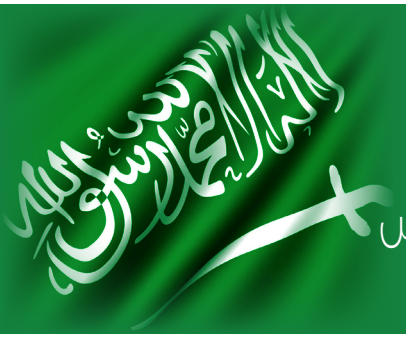

التقديم:

١- د.صالح بن عبد الله بن حميد

٢- د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

وبعد:

فإن المسلمين تحيط بهم معية الله وعنايته إذا اجتمعوا على ما أمرهم به من توحيده وحسن عبادته، وكانوا يدا واحدة على من سواهم، وكنفُ الله ووقايتُه تحفظهم من الأذى والخوف والاضطراب، فإذا تفرقوا زالت السكينة، وأوقع الله بأسهم بينهم، وفسدت أحوالهم، ذلك أن الطاعة والجماعة هي حبل الله الذي أمر بالاعتصام به.وأن الكتاب والسنة أصلان ثابتان محفوظان لا عدول عنهما، ولا هدى إلا منهما وبهما، والعصمة والنجاة لمن تمسك بهما واعتصم بحبلهما، وهما البرهان الواضح، والفرقان اللائح بين المحق إذا اقتفاهما، والمبطل إذا جفاهما.

فإن أمة الإسلام أمة مرحومة، يحمل بعضهم بعضا، ويجبر بعضهم كسر بعض،داخلون - بفضل الله ورحمته - الجنة من أبوابها كلها، فمنهم من يدخل من باب واحد، ومنهم من يدخل من بابين، ومنهم من يدخل من الأبواب كلها، ولئن تنوعت منازلهم ومقاماتهم فإنهم متحدون في منهجهم، ومقصدهم، منهم الولاة المصلحون، ومنهم العلماء والدعاة، ومنهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، ومنهم العامة المستقيمون على طاعة الله ورسوله، يؤدون حقوق الأمة كما أمر بها الشرع، ومن ثبت له اسم الإسلام والإيمان ثبتت له الحقوق.

ومن الشواهد على ذلك التكوين والتكامل هذا الكيان والنسيج الذي أسسه جلالة الملك الصالح المؤسس الإمام عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل – رحمه الله- ودرج عليه أبناؤه الملوك من بعده – رحمهم الله- واستمر ذلك إلى هذا العهد الميمون عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز – حفظه الله.

وتاريخ هذه الدولة المباركة فيه من الأحداث والمواقف ما يرسم هذا البعد نحو السعي إلى وحدة الصف، وهذه الشواهد التاريخية حرية بالدارسة والتحليل والإبراز، ومن تلك الدراسات القيمة العميقة التحليلية ما قام به صاحب السمو الملكي الأمير/ د. فيصل بن مشعل بن سعود بن عبد العزيز، أمير منطقة القصيم – حفظه الله- في كتابه المعنون بـ(الملك عبد العزيز آل سعود وتوحيد إمامة المصلين في الحرمين الشريفين)، وفي هذه الدراسة يتجلى للناظر محورية جمع الكلمة ووحدة الصف في سياسة الملك عبد العزيز، وبيان أن الدين هو أصل أصول الاجتماع، وهو النسيج الذي تتكامل به الجهود وتدرك المسؤوليات، كما أن الانطلاق من المشتركات وتجاوز مواطن الاختلافات الاجتهادية هو الكفيل – بعد توفيق الله وتسديده- ببناء مجتمع متسامح ومتعايش وواع بالدور المناط به.

كما أن في هذا الدراسة مسلكاً علمياً يتعلق بدراسة المسائل العلمية من خلال المجريات العملية، فإن توثيق الآثار في إعمال بعض المسائل العلمية يجلي طبيعة المقاصد المستهدفة من هذه المسائل، فعناية المؤسس الملك عبد العزيز رحمه الله بتوحيد إمامة المصلين في الحرمين الشريفين يوضح مدى قلقه – رحمه الله- من الاختلاف، وإدراكه لعظم آثار نتائج الائتلاف على المجتمع خصوصاً، وعلى المسلمين عموماً.

وقد أحسن الباحث سمو الامير د. فيصل بن مشعل آل سعود – حفظه الله- بعرض ذلك في فصول تبرز تلك المرحلة،وتضمن جوانب تأصيلية وتحليلية

يحتفي بها الفقيه والمؤرخ والسياسي، وبأسلوب سلس في الصياغة والعرض.

نفع الله بهذا السفر المبارك، وجعله في ميزان حسنات راقمه، وأسأله تعالى أن يحفظ ولاتنا وعلماءنا وبلادنا من كل سوء وفتنة، وأن يبقيها متوحدة في صفها وكلمتها، وأن يجمع بها كلمة المسلمين. إنه سميع مجيب وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د.صالح بن عبد الله بن حميد
إمام وخطيب المسجد الحرام
عضو هيئة كبار العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، حمدًا لم يَزل مِدْرارًا وكَّافَا، وأَشكره – سبحانه – على تَرَادُفِ نَعْمَائِهِ شكْرًا يَتَوَالَى أَضْعَافَا، وأُصلِّي وأُسلِّم على نبيِّنا محمَّدٍ، عبدالله ورسوله، خيرِ مَنْ أَلَّفَ الأَشْتَاتَ إيلافَا، صَلَّى الله وبَارك عليه، وعلى آله وصَحَابته الأُلَى كانوا في التوحيد والوحدة والتَّلاحُم أَحْلاَفَا، وعَنِ الشقاق والتَّنَازُعِ صُدَّافَا، والتَّابعين، ومن تَبعَهم بإحسانٍ مِن الْمُقْتَفِين أَسْلافَا، وسَلِّم تسْلِيمًا عديدًا مديدًا إلى يوم الدِّين.

أما بعد:

فلقد عمَدتْ شريعَتُنا الغرَّاء إلى تحقيقِ أَسْنَى المَقاصِد وأعظمِ المَصالح، وإنَّ من عظيم محامدها: إدْلاجَها في استصلاح أحوال الناس في المعاش والمعاد، مستجلبة لهم أكبر المصالح والخيرات، وأعظم الهدايات والمبرَّات، وإنَّ من المقاصدالبديعة التي أَوْلاها التشريع المنزلة السامية المنيعة، مقصدَ الوحدة والأُلفة،والجماعة والتوادِدِ وتركِ الفُرقة ؛ إذِ الوحدة الدينية والأخوَّة الإسلامية من الضروراتِ المحكَمات، والأصولِ المسلَّمات،كما هي من أُسس الأمنِ والاطمئنان،ودعائم الحضارة والعمران، بل هي معراجٌ لبلوغ مرضاة الدَّيَّان، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:10]، وقال سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:103]، وقال أيضاً: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فِيه﴾ [الشورى:13]،، قال الإمام البغوي-رحمه الله- : "بَعَثَ اللَّهُ الْأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ بِإِقَامَةِ الدِّينِ وَالْأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَتَرْكِ الْفُرْقَةِ وَالْمُخَالَفَةِ".

أيُّها القرَّاء الأماجد: ولتحقيق مقصد الوحدة والجماعة، وتوطيدها وتعزيزها شرع الله الشرائع والأحكام كصلاة الجمعة والجماعة والعيدين والوقوف بعرفة

وغيرها؛ يقول الشيخ منصور البهوتي–رحمه الله: "شُرع لهذه الأُمَّة ..الاجتماعُ للعبادة في أوقاتٍ معلومة، فمنها ما هو في اليوم والليلة للمكتوبات، ومنها ما هو في الأسبوع وهو صلاة الجمعة، ومنها ما هو في السَّنة متكررًا وهو صلاة العيدين لجماعة كلِّ بلد، ومنها ما هو عامٌ في السَّنة وهو الوقوف بعرفة؛ لأجل التواصلِ والتوادِدِ وعدمِ التقاطع".

قرَّاءَنا الأكارم: وإنَّ مَنْ أنْعمَ النَّظر، في آفاق التَّاريخ العَافي والأَمَمْ، واسْتقرَأ أحوال الأُمَمْ، ومَا نَابَها مِنْ غِيَرِ الدُّثُور بعد الاستقرار والظُّهور، عَبْر الدُّهور، ألْفَى دون عَنَاء، وبِمَدِيد الجلاء، أنَّ ما أصابَها من التشرْذُم أو الفَنَاء، و الهَلَكة والانْمِحَاء، إنَّمَا سَبَبُه قَاصِمَةٌ دَهْيَاء، تلكم هي صِفَة التَّخَالُفِ والافترَاق، والتَّنَازُع والشِّقاق، التي ما زحَفَتْ أَصْلالُهَا في مجتمَعٍ إلاَّ مَزَّقته شذَر مَذَرْ، وأرْدتْه حديثًا لِمَن غَبَر.

قرَّاءنا الأماثل: وحتى في الحرمين الشريفين قبل العهد السعودي المجيد أناختْ صفة التخالف كَلْكَلَها بقدَرٍ،بل وفي أعظم شعائر الدِّين ألا وهي الصلاة؛ فقد كان المسلمون في المسجد الحرام يؤدُّون الصلوات الخمس خلف إمامٍ واحدٍ حتى أُحدثَ فيه ما سُمِّي بالمقامات، وهي أربعة مقامات كانت على حافة المطاف في الجهات الأربع، يُنسبُ كلُّ واحد منها إلى أحد الأئمة، فالمقَام الشَّافِعِي كان خلف مقَام إِبْرَاهِيم – عَلَيْهِ السَّلَام، والمقام الحنفي بَين الرُّكْن الشَّامي والغربي مِمَّا يَلِي الْحطيم، والمقام المالكي بَين الرُّكْن الغربي واليماني، والمقام الحنبلي تجاه الحجر الأسود، فأصبحت الصلاةُ الواحدةُ في المسجد الحرام تقام أربع مرات، وينتصب لكلِّ إقامة إمامُ مذهبٍ من المذاهب الأربعة، ويُصلِّي أتباعُ كلِّ مذهبٍ وراءَ إمام مذهبهم، فيُصلِّي الشافعي، ثم الحنفي، ثم المالكي، ثم الحنبلي، هكذا في كلِّ الصلوات ما عدا صلاة المغرب، يصلُّونها جميعاً في وقتٍ واحدٍ؛ نظراً لضيق الوقت مما يؤدِّي إلى التداخل بين المصلين، فيسلِّم المصلِّي بسلامِ غيرِ إمامِه، أو يركع بركوع غيره؛ مما تسبَّب لحصول الوسواس والسهو لكثيرٍ من المصلين. هذا وقد

وصف الرحَّالة ابنُ جبير -رحمه الله-حال الناس في صلاة الجماعة في المسجد الحرام سنة 578هـ قائلاً: "وللحرم أربعةُ أئمةٍ سُنِّية ...فأوّل الأئمة السُّنِّيَّة الشافعي، وإنما قدَّمنا ذكره...وهو أول من يصلي، وصلاته خلف مقام إبراهيم- صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا الكريم-، إلا صلاة المغرب فإنَّ الأربعة الأئمة يصلُّونها في وقتٍ واحدٍ مجتمعين لضيق وقتها: يبدأ مؤذِّن الشافعيّ بالإقامة، ثم يقيم مؤذِّنو سائر الأئمَّة، وربَّما دخَل في هذه الصلاة على المصلين سهوٌ وغفلةٌ لاجتماع التكبير فيها من كل جهة، فربما ركع المالكيّ بركوع الشافعي أو الحنفيّ أو سلَّم أحدهم بغير سلام إمامه، فترى كلَّ أُذُنٍ مُصيخة لصوتِ إمامها أو صوت مؤذنه مخافة السهو، ومع هذا فيحدث السهو على كثير من الناس".

أيها الإخوة الأماثل: وهكذا ظلَّت المقامات في المسجد الحرام، حتى انتقلتْ ظاهرة انقسام جماعة المسجد في أداء الفرض الواحد إلى المسجد النبوي الشريف وبقيَّة الجوامع الكبيرة في العالم الإسلامي كالجامع الأموي في الشام، وجامع الأزهر في مصر، فتعدَّدت فيها الجماعة للصلاة الواحدة، وقد استمرَّ الحال في الحرمين الشريفين على ما هي عليه حتى هيَّأ الله لهذه الأمَّة الإمامَ المؤسِّسَ، والحاكمَ الصالحَ العادلَ، الملكَ عبدَ العزيز بنَ عبدِ الرحمن آل سعود -طيَّب الله ثراه.

معشر القرَّاء الأماجد: وحينما رأى الملك المؤسِّسُ هذا المشهدَ الذي تجلَّت فيه ملامحُ الافتراق والاختلاف بما يتنافى مع وحدة الأمَّة، في صلاتها التي هي أعظم شعائر الدين، وفي الحرمين الشريفين، اللذين هما مَهْوَى أفئدَةِ الْمُسْلِمين، وَأَطْهَرُ بِقَاعِ الأَرْض إلى يوم الدِّين، ولا سيَّما أنَّ ما يظهر فيهما من أُلفةٍ ومحبَّة، أو شقاق وفرقة، سينعكس أثره -بلا شك- على الأمَّة الإسلامية إيجاباً أو سلباً، حينها أدرك المؤسِّس هذه الآثار السَّلبية المترتبة عن تلك المقامات المحدَثة في الحرمين الشريفين، وما تؤول إليه من تفريق وحدة الأمَّة، وحدوث الشقاق بين أفرادها، وتأجيج التعصُّب المذهبي، فاستنكر – رحمه الله- هذا الوضع، وقرَّر

أنَّه لَن يَصُدَّ تَيَّار هاتيك التَّشَتُّتِ وأتِيَّه، ولَنْ يُقوِّم مُعوَجَّه وعَصِيَّه، إلاَّ اجتماعُ المصلِّين في الحرمين الشريفين على إمامٍ واحد، وإزالة هذه المقامات المحدَثة،فوجَّه العلماءَ بعقد اجتماع لبحث أصل مقامات المسجد الحرام،وحكم انقسام جماعته لجماعات متفرِّقة، وأن يضعوا توصياتهم عن طريق توحيد جماعة المسجد الحرام بما يحقِّق المصلحةَ العليا للمسلمين، هذا وقد اجتمع في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وثلاثمئة وألف للهجرة، فريقان من العلماء، يمثِّل أحدهما علماء الحجاز، ويمثل الآخر علماء نجد، واتفق الجميع بعد التباحث على أن تكون صلاة الجماعة التي تقام في المسجد جماعةً واحدة أيًّا كان مذهب الإمام، وانتُخِب من كل مذهبٍ ثلاثةُ أئمة، ومن الحنابلة إمامان، يتناوبون في أوقات الصلوات الخمس: فكان من الحنابلة: الشيخ عبد الظاهر أبو السمح، والشيخ حمد الخطيب، ومن الشافعية: الشيخ عبدالرحمن الزواوي، والشيخ محمد علي خوقير، والشيخ عمر فقي، ومن الحنفية: الشيخ عباس عبد الجبار، والشيخ عبد الملك مرداد، والشيخ جمال مراد، ومن المالكية: الشيخ أمين فوده، والشيخ عبد الله حموده، وغيرهم. ورُفع الأمر إلى الملك عبدالعزيز -رحمه الله، فأصدر موافقته الكريمة على هذا الترتيب، وجرى العمل بموجبه، وأصبحت الجماعةُ واحدةً في المسجد الحرام، تصلِّي خلف إمامٍ واحدٍ في صفوفٍ مستوية كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً.

معشر القرَّاء الكرام: وبهذا التوحيد العلمي أبطل الملك عبدالعزيز -رحمه الله- وقضى على بدعة تعدُّد الأئمَّة في صلاة الجماعة في الحرمين الشريفين، وطُويت بذلك صفحةٌ سلبيةٌ ظلَّت قروناً علامةً بارزةً على الفرقة والشتات في تلك الحقبة من الزمن، ولا غروَ في ذلك؛ فالوحدة وجمع الكلمة هي منهجه الذي أفصح عنه بقوله: "أنا مسلم، وأُحبُّ جمعَ الكلمة وتوحيدَ الصفِّ، وليس هناك ما هو أحبّ إليَّ من تحقيق الوحدة"؛ فأردف -رحمه الله- أقوالَه بالأفعال ونِعِمَّا هي، كيف لا! وقد تحقَّقت – بفضل الله- من خلال هذا القرار الأثير وحدةُ

المُسْلِمين وتلاحُمُهم، وتَرَابطُ أَوَاخِيهِم وتَرَاحُمُهُم، فلم يقتصر أثر توحيد الإمامة على المسجد الحرام، بل انتقل الأمر إلى المسجد النبوي وباقي مساجد العالم الإسلامي، فاختفت ظاهرة انقسام جماعة المسجد من العالم الإسلامي إلى الأبد، ولله الحمد والمنَّة؛ ذلك أنَّ الوحدة هي الشعيرة التي احْتَفَى بِها الإسلام أيَّمَا احْتِفاءٍ فوَطَّدَها، وعَزَّزَهَا ووثَّدَها، قال جلَّ جلاله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[آل عمران:103]؛ وذلك لِمَا يَتَرَتَّبُ عَنِ الاتحادِ، مِن المَحَبَّة والوِدَاد، واستئصال السخائم والأحقاد.

معشر الأحبَّة الأكارم: ولقد انبرى الأمير الموفَّق، والحاكم المسدَّد، والإداري المميَّز، والأكاديميُّ المبدع، والأديب البارع، والمثقفُ المتألِّق، صاحبُ السمو الملكي الأمير الدكتور/ فيصل بن مشعل بن سعود بن عبدالعزيز آل سعود – حفظه الله-؛ لتسليط الضوء على هذا الإنجاز الأثير لمؤسِّس هذه البلاد المباركة، من خلال هذا المؤلَّف القيِّم النَّفيس، الموسوم بـ (الملك عبدالعزيز آل سعود ..وتوحيد إمامة المصلِّين في الحرمين الشريفين)، وقد تضمَّن هذا الكتاب النافع الماتع، مقدِّمة رائقة، وثلاثة فصول وضَّاءة مشرقة، أمَّا الفصل الأول فعن اختلاف الأئمَّة وأنه رحمة، وأمَّا الفصل الثاني فعن الملك عبدالعزيز موحِّد صفوف الأئمَّة في الحرمين الشريفين، وأمَّا الفصل الثالث فعن الأمَّة الإسلامية تُشيد بموحِّد جماعتها.

وختاماً: نشكر الله تبارك وتعالى، ثم للقيادة الرشيدة، وعلى رأسها خادمُ الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود – يحفظه الله-، وسموُّ ولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود -يحفظه الله-، على عنايتهما الفائقة ورعايتهما الجليلة للحرمين الشريفين وقاصديهما، وشكر الله للمؤلِّف الكريم أميرنا الغالي صاحب السمو الملكي الأمير الدكتور / فيصل بن مشعل بن سعود بن عبدالعزيز آل سعود – حفظه الله- على جهوده العلمية والمعرفية الموفَّقة، وعلى حسن ظنِّه بمحبِّه في المشاركة في تقديم

هذا الكتاب المميّز، لا سيَّما أن الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النَّبوي هي الجهة المعنيَّة بشؤون الحرمين الشريفين والإشراف عليهما، ونسأله سبحانه أن ينفعَ بهذا الكتاب وبمؤلِّفِه، ويبارك في جهوده، ويحقِّق بما ارتجى من كتابه قصودَه، وأن يُعظمَ لي وله وللقارئ الكريم الأجرَ والثواب.

كما نسأله سبحانه وتعالى أن يجزي ولاة أمرنا الميامين خير الجزاء كِفاء ما قدَّموا للإسلام والمسلمين، وما أَوْلَوا للحرمين الشريفين، ورحم الله مؤسِّس هذه البلاد الملك عبدالعزيز آل سعود وأبناءه البررة من الملوك السابقين، وأسكنهم فسيح جِنانِه، وأن يجزي خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود – يحفظه الله- خيرَ الجزاء كِفاء ما قدَّم للإسلام والمسلمين، وما يبذله للحرمين الشريفين ويقدِّمه في رعايتهما وخدمة قاصديهما: إعماراً وتطهيراً، وتوسعةً وصيانةً وتطويراً، وأن يمتِّع الإسلام والمسلمين بطول بقائه، وأن يُديم في سماء المجد ارتقاءه، ويسبغ عليه لباس الصحة والعافية، ويمدَّ في عمره وصالح أعماله، وأن يشد أزره بولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود -يحفظه الله-، وأن يحفظ بلادَنا بلاد الحرمين الشريفين – دُرَّة الأمصار وشامة الأقطار – من كلِّ سوء ومكروه، ويزيدها أَمْناً وإيماناً، وسلاماً واستقراراً، ويجعَلَها سخاءً رخاءً، ويحفظ عليها عقيدتها وقيادتها وأمنَها ورخاءها، وسائر بلاد المسلمين، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

كتبه:
عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس
الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي
إمام وخطيب المسجد الحرام

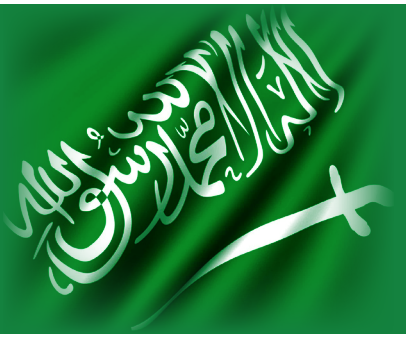

الفصل الأول:
اختلاف الأئمة .. رحمة

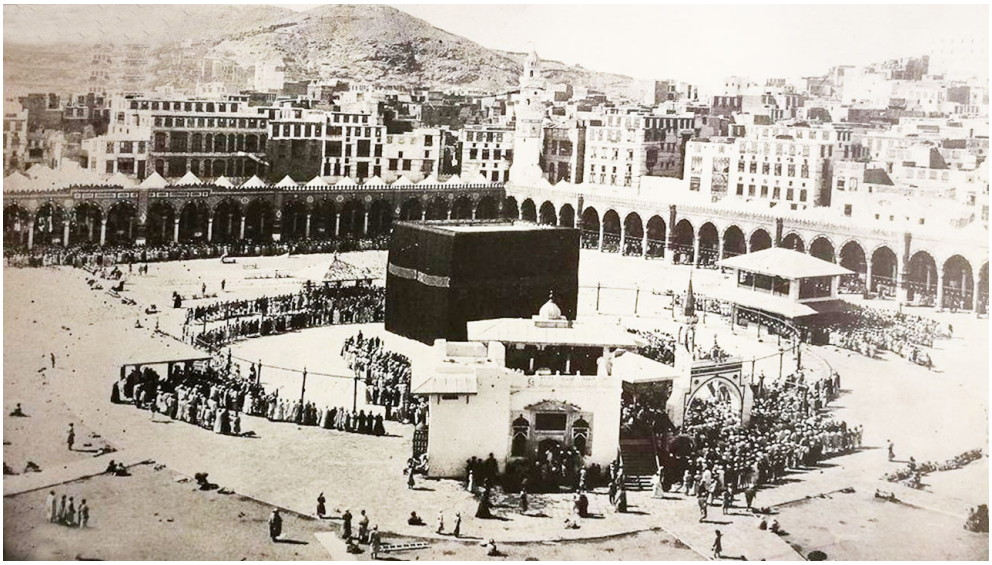

على الرغم من ورود الاختلاف بين العلماء الشرعيين في الأعراف الفقهية، بل والاتفاق عليه فيما بين الراسخين من أهل العلم، وفق نصوص أثرت عنهم ـ رحمهم الله جميعاً ـ فهذا الإمام البخاري في (القراءة خلف الإمام، ص: ٢١٣) يقول: "والوجه الثالث إذا ثبت الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فليس في الأسود ونحوه حجة.

وهذا الإمام مالك يقول (كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر)(١).

وهذا أبو نعيم في حلية الأولياء (ج: ٣ ص: ٣٠٠) يقول: "حدثنا محمد بن أحمد بن موسى العدوي،حدثنا إسماعيل بن سعيد ينوي، أخبرنا سفيان عن عبدالكريم عن مجاهد قال: " ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم".

وهذا البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى ج: ١ ص: ١٠٧ يقول: "أخبرنا أبو بكر بن الحارث أخبرنا أبو محمد بن حيان حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا عبدالجبار حدثنا سفر عن عبدالكريم عن مجاهد قال: "ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك من قوله إلا النبي صلى الله عليه وسلم".

وهذا الطبراني في المعجم الكبير (جـ ١١: ص ٣٣٩) يقول: حدثنا أحمد بن عمرو البزار، حدثنا زياد بن أيوب، حدثنا أبوعبيدة الحداد، عن مالك بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـرفعه، قال: "ليس أحد إلا يؤخذ

(١) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة، محمد بن عبدالرحمن السخاوي شمس الدين، عبدالله محمد الصديق الغماري–عبدالوهاب عبداللطيف، (٣٢٧)

من قوله، ويدع، غير النبي -صلى الله عليه وسلم-".

إلا أن هذا الإقرار بمشروعية الخلاف بين العلماء لم يمنع بعض المتشددين أن يعمدوا إلى فرض وجهة نظر واحدة ورأيٍّ واحدٍ ولو بقوة السيف، قديماً وحديثاً.

❁❁❁

ولعل السبب في موقف بعض المتطرفين وتشددهم في تخطئة غيرهم من أهل المذاهب بل تأثيمهم، اعتقاد هؤلاء أنه لا مجال لاختلاف العلماء إذا توفرت لديهم النصوص، وكأن سبب الاختلاف محصور عندهم في ثبوت النص وعدم ثبوته، فإذا توفرت النصوص لدى الجميع بسبب من الأسباب، كتدوين السنة في الصحاح مثلاً، وتميز صحيحها عن ضعيفها، كان لازماً أن يذهب هذا الاختلاف، وتزول آثاره بين العلماء، وتعود الآراء المتعددة رأياً واحداً لا خلاف فيه.

وكثيراً ما أدت هذه النظرة السطحية الخاطئة لمسألة اختلاف العلماء في الأحكام إلى مواقف مختلفة، جعلت بعض الناس ينوء بها فيعرض عنها، وجعلت صنفاً آخر منهم يتهجم عليها ويحاربها.

ولو رجع هؤلاء إلى ما بينه الأئمة والعلماء من أسباب الاختلاف، لعلموا أن ما ظنوه السبب الأصلي الوحيد في الاختلاف ـ وهو عدم وصول النص إلى المختلفين ـ ما هو إلا سبب واحد يسير من الأسباب العديدة التي أدت إلى تنوع هذه الآراء، واختلافها واختلاف الاستنباط بسببها.

وتبعاً لتعدد الأسباب وتداخلها، اختلف العلماء في بيان أسباب الاختلاف إلى مجمل فيها، ومفصل لها، جمعها الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني في أربعة أسباب إجمالية، هي(٢):

(٢)دراسات في الاختلافات العلمية،د. محمد أبوالفتح البيانوني،ص ٣٧ - ٣٩بتصرف.

الاختلاف في ثبوت النص وعدم ثبوته:

فهناك وصول النص إلى هذا الإمام وعدم وصوله إلى غيره، وهناك ثبوته عند هذا وعدم ثبوته عند غيره، وذلك تبعاً للاختلاف في توثيق الرجال والرواة وتضعيفهم، أو تبعاً إلى شذوذٍ في المتن أو في السند بالنسبة إلى متن آخر أو سندٍ آخر، إلى غير ذلك مما يتصل بهذا السبب.

الاختلاف في فهم النص:

وهناك بعد ذلك كله ـ على فرض الاتفاق على ما سبق، واستواء الحكم على النص عند الجميع ـ الاختلاف في فهم النص الثابت، سواءً في ذلك، الاختلاف الذي يعود إلى نوعية النص، وغير ذلك مما يقتضيه النظر في سند الحكم من حيث الثبوت والاستدلال والتعليل، ككونه مشتركاً لفظه بين معانٍ كثيرة، أو مجملاً لم يبين معناه، ولم يتضح المراد منه للمجتهد، أو جاء على سبيل الحقيقة، أو المجاز إلى غير ذلك مما يعرفه أهل اللغة والبيان، وسواء في ذلك الاختلاف الذي يعود إلى اختلاف القدرات والإمكانات في الفهم عند المجتهدين، أو غير ذلك مما يقتضيه النظر في سند الحكم من حيث الثبوت والاستدلال والتعليل .

الاختلاف في طرق الجمع والترجيح بين النصوص المتعارضة:

وعلى فرض الاتفاق بين العلماء على ثبوت النص وفهمه، يعترض أمر آخر وهو: سلامة هذا النص من معارض راجح في الظاهر من النصوص الأخرى، وهنا يحصل الاختلاف في طرق الجمع بين النصوص، أو ترجيح بعضها على بعض، ولا ننسى هنا ما للفهم من أثر كبير في هذه المرحلة.

وهناك من ينظر إليها نظرة عدم التعارض فيعمد إلى الترجيح، وليس فهم أحدهم بحجة على فهم الآخر، ولا بملزم له أن يقول بقول غيره.

الاختلاف في القواعد الأصولية وبعض مصادر الاستنباط:

ويعني بذلك الاختلاف في حجية المصدر الذي تستنبط منه الأحكام، فلكل إمام قواعد وشروط في قبول الحديث ورده، ولكل وجهته ومنهجه في الاستنباط.

وهناك من ينظر إلى فعل الصحابي مثلاً أو فتواه، نظرته إلى النصوص الشرعية، فيعتبرها حجة قوية، وهناك من يخالفه في ذلك.

هناك من يعتبر عمل أهل المدينة حجة شرعية، يقدمها على غيرها من النصوص....

وهناك من ينظر إلى عمل الراوي بخلاف ما رواه، نظرة يخالفه فيه الآخرون.

وهناك من يرى أن مقتضى النهي الفساد، ويخالفه في ذلك غيره، إلى غير ذلك مما هو مبسوط في محله من كتب الأصول.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا: أن كثيراً ما نجد هذه الأسباب الأربعة للاختلاف متداخلة في بعض المسائل. لا ينفك سبب منها أحياناً عن الأسباب الأخرى، لأن مما يؤثر في فهم المجتهد واستنباطه منهجه وطريقته فيه، كما يؤثر فيه أيضاً ذلك المصدر الذي يعتمد عليه، ويستنبط منه ...

ولهذا ضاقت دائرة الاختلاف بين العلماء الذين تقاربت أصولهم ومناهجهم، واتسعت دائرته بين المجتهدين الآخرين، كما هو واضح في اجتهاد المجتهدين المطلقين، والمجتهدين المتقيدين بمذهب من المذاهب.

ويدعو د. البيانوني إلى عدم الالتفات إلى دعاوى توحيد المذاهب والآراء في مذهب واحد؛ لمخالفتها واقع اجتهاد يفرض نفسه".

❁❁❁

ولم يفرط كثير من المتشددين على مدار تاريخ الفقه الإسلامي في حظوظهم من غرس بذور العداء للمخالف، على الرغم من تصالح الأئمة وهم أصل الخلاف مع الفكرة، وتقبل كل منهم فكرة الخلاف، وتفهمه أسبابها، لكن التشدد قال كلمته، وكبد الأمة كثيراً من الخسائر.

ويسجل العصر العباسي إرهاصات الخلافات الفقهية في التاريخ الإسلامي، إذ ضعفت الخلافة العباسية، وكانت تتدرج نحو الهاوية نتيجة الصراع بين دولة بني بويه الباطنية، ودولة السلاجقة السنية وانتهى الصراع بانتصار السلاجقة ودخولهم بغداد وبسطهم سلطانهم على العراق، وكان ذلك بقيادة مؤسس دولتهم ركن الدين أبي طالب، المعروف بطغرل بك الذي مثل أمام الخليفة العباسي القائم بأمر الله فمنحه لقب السلطان.

وأصبحت السلطة الفعلية في يد السلاجقة، واقتصر أمر الخلافة العباسية على السلطة الروحية أو الظاهرية الشكلية(٣).

(٣) سيرة الغزالي، عبدالكريم عثمان، ٢٥ وما بعدها، دار الفكر، دمشق.

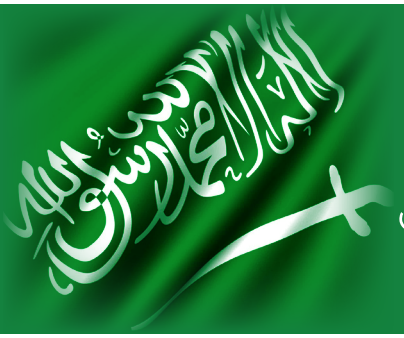

الفصل الثاني

الملك عبدالعزيز.. موحد صفوف الأمة في الحرمين الشريفين

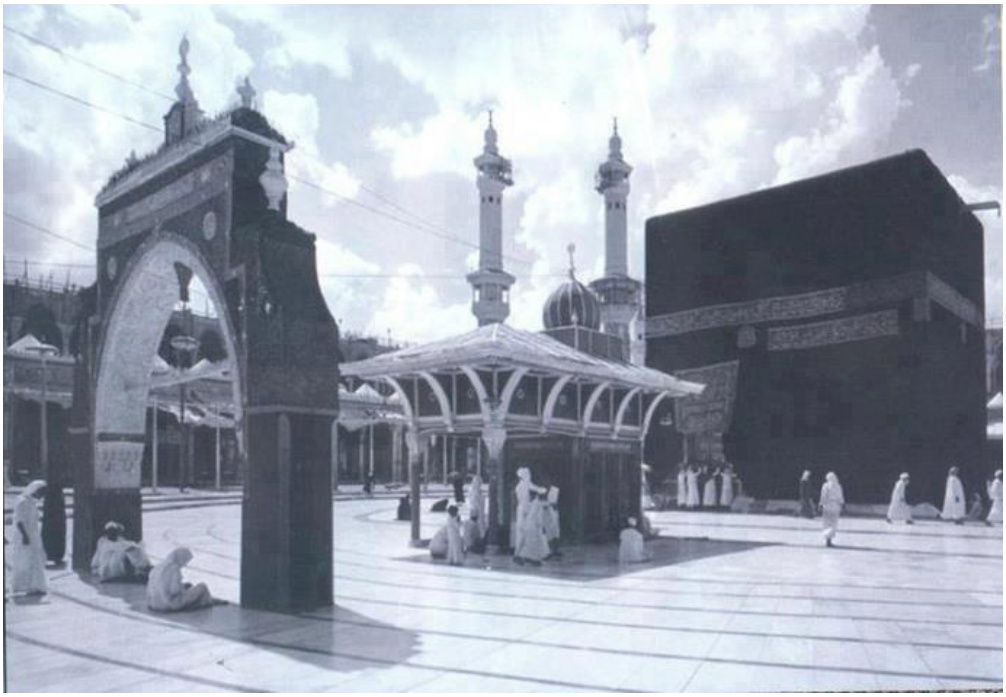

عن أبي الدّرداء قال: سمعت رسول اللّه -صلى الله عليه وسلم- يقول: (ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصّلاة إلاّ قد استحوذ عليهم الشّيطان، فعليك بالجماعة، فإنّما يأكل الذّئب القاصية)(٤). قال زائدة: قال السّائب: يعني بالجماعة الصّلاة في الجماعة".

حذرت السّنّة النبوية المشرفة من الفرقة، ودعت للوحدة والمحبة والأخوة، ونبذ الفُرقة والبغضاء والمشاحنة؛ فالنصوص الواردة في هذا المعنى تكاد لا تخرج عن أي نص نبوي صريح صحيح، قال -صلى الله عليه وسلم-: (أوصيكم بأصحابي، ثمّ الّذين يلونهم، ثمّ الّذين يلونهم، ثمّ يفشو الكذب حتّى يحلف الرّجل ولا يستحلف، ويشهد الشّاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلونّ رجلٌ بامرأة إلا كان ثالثهما الشّيطان، عليكم بالجماعة وإيّاكم والفرقة، فإنّ الشّيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنّة فليلزم الجماعة..)(٥)، وقال: (يد اللّه مع الجماعة)(٦)، وقال: (..من فارق الجماعة شبرا فمات فميتةٌ جاهليّةٌ)(٧).

يضاف إلى ذلك، حرص النبي ـ صل الله عليه وسلم ـ على ربط الشعائر الدينية، كالمعاملات والعبادات، بتقوية الجماعة، وأبرزها الصلاة فنادى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للاجتماع لها، بل وتسوية الصفوف. .

❁❁❁

ولقد أنقذ المؤسس الملك عبد العزيز الأمة الإسلامية من مشهد فرقة يتنافى

(٤) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، برقم ٤٦٠، ١،١٥٠.
(٥) سنن الترمذي، كتاب الفتن، برقم ٢١٦٦.
(٦) سنن الترمذي، كتاب الفتن، برقم ٢٠٩٢.
(٧) متفق عليه: البخاري في كتاب الفتن برقم ٦٥٣١، ومسلم في كتاب الإمارة برقم ٣٤٣٨، واللفظ لمسلم.

مع وحدة صف الأمة، وكانت تتجلى فيه ملامح الفرقة والتشرذم إلى ما يبعث على الرثاء لحالها، بعدما نالت الخلافة المذهبية الكثير من تماسكها ووحدتها وتآلفها، فلم تعد صفاً واحداً، ولا جماعة واحدة، تقف في صلاتها في الحرمين الشريفين ممزقة مشرذمة، كل مذهب يصلي في جماعة منفصلة، وكأنهم من أديان متعددة، وليسوا من دين واحد، ويعبدون إلهاً واحداً، ولهم نبي واحد. ولقد آذى هذا المشهد كثيراً الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، فاستنكره بفطرته النقية، وبعقيدة الإسلام الصافية التي تلقاها على أيدي علماء الدعوة الإصلاحية في نجد منذ صغره، فأخذ على عاتقه توحيد صف الأمة ـ طيب الله ثراه ـ في مكان من أهم مواقف التاريخ للأمة الإسلامية التي عادت على يد المؤسس الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، إلى أحسن حال لوحدة دينية في جماعة واحدة وخلف إمام واحد، حتى وإن كانت مختلفة في مذاهبها، فهي تبقى خلافات في الفروع، في حين أن أصل المعتقد واحد، ألا وهو التوحيد.

❁❁❁

قبل توحيد المملكة بست سنوات، أمر المؤسس الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود بتوحيد جماعة المصلين في الحرم المكي خلف إمام واحد وإلغاء المقامات الأربعة ومنع تعدد الأئمة للفرض الواحد، فبخطوة أظهرت رغبة المؤسس وحرصه على توحيد البلاد من جميع النواحي، بل توحيد الأمة الإسلامية، لأن الصلاة في الحرمين الشريفين تجتمع لها الأمة من جميع أقطارها.

وكانت هذه المقامات منصوبة في صحن الحرم المكي لعدة قرون، يشكل كل منها منبرا ومحرابا لإمام يتبع مذهبا فقهيا مختلفا عن الآخر، وكانت خمسة مقامات قديما هي: المقام الشافعي، والمقام الحنبلي، والمقام الحنفي، والمقام المالكي، بالإضافة إلى المقام الزيدي الذي أزيل في٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م.

ولم يجمع المؤرخون بشكل قاطع على السنة التي ظهرت فيها هذه المقامات لأول مرة، بيد أن الدكتور صالح معتوق رجح في كتابه «علم الحديث في مكة

المكرمة» أن بداية ظهورها كانت بين سنتي ٤٤٢/ ١٠٥٠م، و٤٩٧هـ/١١٠٣م، وبرر ذلك بأن ناصر خسرو عندما حج سنة ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م لم يذكر وجود أي منها، بينما ذكر الفاسي في شفاء الغرام أن مقامات الحنفية والمالكية والزيدية كانت موجودة في سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م.

وتكلّم الرحّالة ابن جبير في رحلته سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م عند مروره بمكة (رحلته / ص٨٤-٨٥)عن وجود أربعة أئمة سنّية للحرم، فأوّلهم إمامة الشافعي (وذكر الحافظ السَّلفي المتوفّى سنة٥٧٦هـ/ ١١٨٠م في معجم السفر ص ١٤١ أن الإمام الشافعي كان إمام مقام إبراهيم وأوّل من يصلّي من أئمة الحرم) ويصلي خلف مقام إبراهيم، ثم المالكي ويصلي قِبالة الركن اليماني، ثم الحنفي ويصلّي قِبالة الميزاب، ثم الحنبلي وصلاته مع المالكي في حين واحدٍ وموضع صلاته يقابل مابين الحجر الأسود والركن اليماني.

وقال: " إلاّ صلاة المغرب فإن الأربعة الأئمة يصلّونها في وقتٍ واحدٍ مجتمعين لضيق وقتها، يبدأ مؤذّن الشافعي بالإقامة، ثم يقيم مؤذّنو سائر الأئمة، وربما دخل في هذه الصلاة على المصلّين سهو وغفلة لاجتماع التكبير فيها من كل جهة، فربّما ركع المالكي بركوع الشافعي أو الحنفي، أو سلّم أحدهم بغير سلام إمامه، فترى كلّ أذنٍ مصيخة لصوت إمامها أو صوت مؤذّنه مخافة السهو، ومع هذا فيحدث السهو على كثير من الناس".اهـ.

قال الدكتور (صالح معتوق) في كتابه "علم الحديث في مكة المكرمة " (ص ٢٥-٢٦):ولم تُعرَف السنة التي أُحدِثَت فيها هذه المقامات، وتعدّدت فيها الجماعات بعد أن كان الناس يصلّون جماعة واحدة وراء إمام واحد، والذي ظهر لصاحب تاريخ عمارة المسجد الحرام (حسين باسلامة) بعد البحث والتنقيب أنها أُحدِثَت في القرن الرابع أو القرن الخامس، لأن ابن عبدربه صاحب العقد الفريد المتوفّى سنة ٣٢٨هـ، لم يذكر هذه المقامات عندما وصف المسجد الحرام، وذكرها ابن جبير في رحلته سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م، وقد وافقه على ذلك الأستاذ

أحمد السباعي رحمه الله في "تاريخ مكة". اهـ.

ورجّح الدكتور صالح أن بداية حدوث هذه المقامات كانت بين سنتي ٤٤٢/١٠٥٠م، و٤٩٧هـ/١١٠٣م، لأن ناصر خسرو عندما حج سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م لم يذكر هذه المقامات، وذكر الفاسي في شفاء الغرام أن مقامات الحنفية والمالكية والزيدية كانت موجودة في سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م.

وقال الدكتورحسن سفر، الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية بجامعةالملك عبدالعزيز.. إن من أوائل مافطن له الملك المؤسس بعد مبايعته ملكاً على الحجاز كان ضرورة توحيد المذهب الفقهي للبلاد، كي يزيد في لحمة المواطنين وتوحيد كلمتهم، فوجه العلماء بسرعة الشروع في عمل مجلة للأحكام العدلية لتكون مسطرة الأحكام في محكمة مكة المكرمة في ذلك الوقت، فاستجاب الشيخ أحمد القارئ وأنجز « مجلة الأحكام الشرعية »، فكان ذلك مدخلا لتوحيد الناس لاحقا في جماعة واحدة للصلاة في الحرم خلف إمام واحد بدلا من تعدد الأئمة في الفرض الواحد وتفرق الناس بين المقامات.

وحول ترتيب أداء الفرض بينهم، ذكر الدكتور فوزي ساعاتي، عضو هيئة تدريس بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة، في دراسة له بعنوان «المقامات الأربعة في المسجد الحرام » أن الناس كانوا يؤدون الصلاة خلف إمام واحد، هو إمام مقام إبراهيم عليه السلام الذي أصبح يقابله فيما بعد مقام الشافعية، قبل إحداث المقامات، فلما أحدثت أصبحت الصلاة الواحدة تقام أربع مرات، وينتصب لكل إقامة إمام مذهب من المذاهب الأربعة، ويصلي أتباع كل مذهب على الأغلب وراء إمام مذهبهم، فيصلي الشافعي، ثم الحنفي، ثم المالكي، ثم الحنبلي، في كل الصلوات ماعدا المغرب، يصلونه جميعا في وقت واحد نظراً لضيق الوقت مما يؤدي إلى التداخل بين المصلين، فيسلم المصلي بسلام غير إمامه أو يركع بركوع غيره و يحصل الوسواس و السهو للكثيرين.

ويذكر المؤرخون أن بداية الأمر كانت فيها سعة لأن المصلي إن فاتته الجماعة

الأولى أدرك غيرها مع أي مذهب كان، ثم لوحظ أن بعضا من الناس يكون في المسجد الحرام والصلاة قائمة فلا يصلي مع المصلين متعللاً بانتظار إمام مذهبه ليصلي خلفه، وأخذ عدد المتخلفين عن الصلاة تعصبا للمذهب يكثر ويزيد حتى وصل إلى مرحلة خطرة يصفها الشيخ الألباني بقوله في كتابه «أصل صفة الصلاة »: «كانت هذه المسألة وأمثالها مثار فتن عظيمة بين الحنفية و الشافعية، حتى لقد دفعتهم إلى وضع القاعدة المشهورة عند الفريقين: تكره الصلاة وراء المخالف في المذهب، وهي كراهة تحريم عند علمائنا يقصد الأحناف ولا تزال آثار هذه القاعدة بادية في مساجدنا، ففيها المحاريب الأربعة، وترى فيها ناسا يصلون مع الإمام، وآخرين ينتظرون إمام مذهبهم، حتى لقد قلت مرة لبعض هؤلاء : حي على الصلاة، فإنها أقيمت، فكان جوابه أن قال: إنها لم تقم لنا، إنها للشافعية».

أمّا عن الحرم المدني، فينقل الشيخ عطيّة سالم رحمه الله (ت ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٠م) في كتابه (التراويح ؛ أكثر من ألف عام في مسجد النبي) (ص ٧٤) عند كلامه على القرن الثاني عشر الهجري من رحلة الشيخ النابلسي قوله :

"للحرم الشريف خمسة عشر إماماً منهم الحنفيّون ومنهم الشافعيّون، وله واحد وعشرون خطيباً، منهم اثنا عشر خطيباً حنفيّون، وثمانية خطباء شافعيّون، وخطيب واحد مالكي، فالأئمة يصلّون بالنوبة في كل يوم إمام واحدمن الحنفيّة وإمام من الشافعية، فيبتدئون من الظهر إلى الصبح، والإمام الشافعي يصلّي أولاً، ثم الإمام الحنفي، إلاّ في المغرب، فيتقدّم الحنفي لكراهة تأخير المغرب عنده، ويصلّي الإمام الحنفي يوماً في محراب النبي الذي في الروضة الشريفة، فيصلّي الإمام الشافعي ذلك اليوم في المحراب الذي هو خلف المنبر، ثم في ثاني يوم يصلّي الإمام الشافعي كذلك، ويصلّي الحنفي مثلما صلّى هو أول يوم". اهـ.

وقال الشيخ عطيّة (ص ٨٨): وقد زال هذا التعدّد بوجود العهد السعودي،

وأمّا وجوده فكان طارئاً على المدينة، لم يحدث إلاّ بعد القرن السابع، وكانت المدينة طيلة سبعة قرون تصلّي الصلوات كلّها بإمامٍ واحدٍ ولا تتعدّد فيها الجماعة لفريضة واحدة، بل إن مالكاً رحمه الله وهو إمام دار الهجرة ممن يكره تعدّد الجماعة في المسجد الواحد للفريضة الواحدة ..... (ثم) تعدّدت الأئمة في الصلوات الخمس، ثم جاء العهد السعودي فتوحّدت فيه الجماعة في المسجد النبوي وفي المسجد الحرام للصلوات الخمس وللتراويح، وعادت فيه حالة الإمامة إلى أصلها موحّدة منتظمة . اهـ.

وقال (ص ٩٠): والجدير بالذكر أن من أعظم نعم الله على الأمّة أن تتوحّد في الصلوات كلّها في جماعة واحدة وعلى إمامٍ واحدٍ، أيًّا كان مذهبه من المذاهب الأربعة التي لم تخرج عن كتاب الله وسنّة رسوله.

وظل دور المقامات بوصفها محاريب للصلاة محل جدل بين العلماء من مجيز ومنكر منذ بدأ تعداد صلاة الفرض الواحد بينها، لتسهم بذلك في زيادة الفرقة وتأجيج الصراع والتعصب المذهبي بين علماء المسلمين وعوامهم، دون أن يتخذ أي حاكم ممن ولي أمر الحجاز وقتها على مدى تاريخه قرارا حاسما حولها، لتنتقل ظاهرة انقسام جماعة المسجد في أداء الفرض الواحد إلى المسجد النبوي الشريف وبقية الجوامع الكبيرة في العالم الإسلامي كالجامع الأموي في الشام، والجامع الأزهر في مصر، فتعددت فيها الجماعة للصلاة الواحدة، مما يؤكد الدور الريادي الذي يمثله المسجد الحرام للعالم الإسلامي .

واستمرت الحال على ماهي عليه حتى بويع الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن ملكا على الحجاز ليشهد عهده حملتي ترميم وإصلاح عامي ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م-١٣٥٤هـ/١٩٣٥م بالإضافة إلى «مشروع التوسعة السعودية الأولى» وكان الانتهاء من تنفيذه في عهدالملك سعود، ثم ألحقها بتوجيهات للعلماء بعقد اجتماع لبحث أصل مقامات المسجد وحكم انقسام جماعته لجماعات متفرقة، وأن يضعوا توصياتهم عن طريق توحيد جماعة المسجد بما يحقق المصلحة العليا

للمسلمين خوفا من أن يؤخر هذا الأمر وحدة البلاد التي كانت من أهم أهداف المؤسس للقضاء على ما يحدث من شقاق بين أهلها.

وحسم الأمر كما ذكر الشيخ حسين باسلامة في كتابه «تاريخ عمارة المسجد الحرام»(٨) عندما اجتمع فريقان من العلماء عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م، يمثل أحدهما علماء الحجاز ويمثل الآخر علماء نجد، واتفق الجميع بعد التباحث على أن تكون صلاة الجماعة التي تقام في المسجد جماعة واحدة أيا كان مذهب الإمام، وانتخبوا من كل مذهب ثلاثة أئمة، اختاروا منهم إمامين يتناوبان في أوقات الصلوات الخمس، فكان من الحنابلة الشيخ عبدالظاهرأبوالسمح و الشيخ حمد الخطيب، ومن الشافعية الشيخ عبدالرحمن الزواوي و الشيخ محمد علي خوقير والشيخ عمر فعي، ومن الحنفية الشيخ عباس عبدالجبار و الشيخ عبدالله بن مرداد، ومن المالكية الشيخ أمين فودة و الشيخ عبدالله حمد و هو الشيخ عباس مالكي.

(٨) كتاب (تاريخ عمارة المسجد الحرام) يمكن وصفه بأنّه أول كتاب من نوعه، فهويتحدث عن صفة المسجد الحرام قبل الإسلام،ثم يتحدث عن الزيادة الأولى التي أحدثها الخليفة الراشد أمير المؤمنين " عمر بن الخطاب"، ثم زيادة أمير المؤمنين "عثمان بن عفان"، فزيادة "عبدالله بن الزبير"،والزيادة الرابعة في عهد "الوليد بن عبدالملك "،فزيادة الخليفةالعباسي "أبوجعفر المنصور"، ثم زيادة الخليفة "المهدي"، فزيادات الخلفاء العباسيين: "المعتضد" و"المقتدر"،موضحاً مقدار الزيادات التي زيدت فيها في المسجد الحرام، كما احتوى مؤلفه -رحمه الله- على معلومات هامة عن الخطبة في المسجد الحرام، حيث كان الخلفاء الراشدون وولاة مكة يخطبون قياماً على أقدامهم في المسجد تجاه الكعبة المعظمة، فلما ولي "معاوية بن أبي سفيان" الخلافة وكان جسيماً وضع له منبر صغير ذو ثلاث درجات، قدم به من الشام لما قدم للحج، فكان هو أول من خطب على المنبر في المسجد الحرام، وقد بقي هذا المنبر يخطب عليه الخلفاء كلما قدموا للحج، كمايخطب عليه ولاة مكة إلى أن حج الخليفة " هارون الرشيد "، فخطب على منبر منقوش عظيم، له تسع درجات أهدي إليه من عامله على مصر "موسى بن عيسى" فبقي هذا المنبر في مكة، ونقل منبر معاوية إلى عرفات، ثم أصبح الخلفاء والملوك يتنافسون في إنشاءالمنابر العظيمة.

ومما ورد في كتابه (تاريخ عمارة المسجد الحرام) ذكره للمقامات الأربعة، حيث إنّ هذه المقامات منسوبة إلى المذاهب الأربعة، فلقد كان الناس قبل العهد السعودي يصلون جماعات أربعة، بل كانوا يصلون في بعض العهود خمس جماعات، بعدإضافة جماعة المذهب "الزيدي" - كماوصفه "ابن جبير" في حج ٥٨٨ هـ، ويتابع المؤلف نقلاً عن "ابن جبير" فأول المقامات من الأئمة للإمام "الشافعي"، وهويصلي خلف مقام إبراهيم -عليه السلام-، ثم "المالكي" وهو يصلي قبالة الركن اليماني، ثم "الحنفي"، وصلاته مع صلاة "المالكي" في حين واحد،ثم "الحنبلي"،وصلاته مع "المالكي" في حين واحد،وقد بذل الشيخ "با سلامة" جهداً مضنياً في كتابه (عمارة المسجد الحرام) حتى لقد تتبع عدد أساطين الرخام،والدعائم المبنية من الحجر الشمسي، والعقود المطوية، والقباب، وحتى القناديل التي كانت في عهده، وذكر عددها، وأنواعها، وفصل في خامات البناء، وقدّر المسافات، وبذل جهداً جباراً في وصفه لكل ما يحويه المسجد الحرام من بناء ومرافق.

ورفع الأمر إلى الملك فأصدر موافقته على هذا الترتيب وجرى العمل بموجبه وأصبحت الجماعة واحدة في المسجد الحرام تصلي خلف إمام واحد في صفوف مستوية كالبنيان يشد بعضه بعضا.

وما إن توحدت جماعة الحرم خلف إمام واحد حتى انتقل الأمر إلى باقي مساجد العالم الإسلامي، فاختفت ظاهرة انقسام جماعة المسجد من العالم الإسلامي إلى الأبد ـ إن شاء الله ـ مشكّلة إنجازاً أيضاً بجانب الإنجازات الكثيرة للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن مؤسس المملكة العربية السعودية.

وساهم هذا القرار في استغلال كل المساحة الإجمالية للمسجد في وقت تصل أعداد المصلين في الوقت الحاضر إلى أكثر من مليوني مصلٍّ، خصوصا في أيام الجمع والأعياد والحج والليالي العشر الأواخر من رمضان(٩).

❁❁❁

ويفصل د. فوزي ساعاتي الحديث في المقامات (المقصورات) بقوله: هي عبارة عن أربع مقامات يضاف لها مقام خامس وهو مقام الزيدية . وقد أزيل في سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م. داخل حدود المطاف القديم من جهاته الأربع التي تتميز بأرضيتها المفروشة بالحجر الصوان، وكل مقام عبارة عن مصلى لأتباع كل مذهب من المذاهب الأربعة. وعن توفيرها للظل فقد كان لكل مقام مظلة خاصة. مما وفر مساحات من الظل للمصلي وكذا وقتهم من المطر، وأتاحت لهم أفضل سماع للأعداد الغفيرة لصوت الإمام ـ نظرا لعدم توفر مكبرات للصوت في ذلك الزمن، وقد اختُلِف في تاريخ إنشاء هذه المقامات، فقيل كان في حوالي منتصف القرن الخامس الهجري وقيل كان في خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، وقيل كان أقدم ذكر للمقام الحنبلي في سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م، وكان قد سبقه في

(٩) توحيد الجماعة خلف إمام واحد في الحرم المكي أولى بوادر وحدة السعودية، تقرير منشور، صحيفة الشرق الأوسط، الاربعاء ٢٠ ذوالقعدة ١٤٣٤ هـ ٢٥ سبتمبر ٢٠١٣ العدد ١٢٧٢٠

الإنشاء المقام المالكي، وكان المقام الحنبلي موجودًا في عُشْر الأربعين وخمسمائة هجرية. وأما موقعها في المسجد الحرام فهي في القسم الثاني من صحن المطاف، ولكل مقام موقع خاص به.

المقام الشافعي في جهة الشرق من المسجد الحرام، أمام الكعبة وخلف مقام إبراهيم عليه السلام وباب بني شيبة، وهو على مرتفع في أعلى قبة زمزم يصعد إليه بدرج عددها (١١) درجة من جهة المقام الحنبلي، ويشغل مساحة ٤أمتار من مساحة سطح قبة بئر زمزم. ويستوعب عددًا أقل من خمسين مصليا، ويبعد عن الكعبة بحوالي (١٥)م، كان يرفع من فوقه الأذان من قبل رئيس المؤذنين.

المقام المالكي في جهة الغرب من المسجد الحرام مما يلي دبر الكعبة (أي من ناحية باب العمرة حالياً) بين الركنين الغربي واليماني كان على مستوى سطح المطاف ومن دور واحد، مقام على أربعة أعمدة وحوله محاط بالحصى.

المقام الحنفي في جهة شمال الكعبة والمسجد الحرام (أي من ناحية باب الزيادة)، أمام حِجر إسماعيل عليه السلام وميزاب الكعبة بين الركنين الشامي والعراقي مما يلي الحطيم مقارب لحد صحن المطاف القديم من خلف الحطيم، ويتميز المقام الحنفي بكبر المساحة التي يشغلها عن المقام الشافعي، وبكبر مظلته الخارجة عن الدور الأول عن بقية المقامات وبأنه من دورين، وفوق الدور الأول مظلة للمبلغين يصعد إليها بدرج، وكان المقام يشغل مساحة أكثر من ٤ أمتار عرضاً بحيث تستوعب حوالي(٥٠) مصلياً، ومن أعلاه يتم إبلاغ حركات الإمام للمصلين، ويقف عليها المنشدون (المؤذنون).

المقام الحنبلي : في جهة الجنوب من المسجد الحرام (هوفي ناحية المكبرية جهة باب الملك عبدالعزيز آل سعود -رحمه الله- حالياً ما بين الركنين)، مستقبلاً الحجر الأسود ومجاوراً لمبنى بئر زمزم لغاية سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م، فتم إزالته وإعادة بنائه من دور واحد مستندا على أربعة أعمدة، وتم تعديل ناحيته بحيث يكون مقابلاً للحجر الأسود، وعلى مستوى سطح صحن المطاف، وملاصقاً لحد

الصحن، وحوله مفروش بالحصى، أي أن موقعه حالياً بين الركنين، وكانت خلفه حصوة النساء.

الصلاة في المقامات: كان الناس فيما قبل إحداثها يؤدون الصلاة خلف إمام واحد هو إمام مقام إبراهيم عليه السلام، فلما أُحدثت أصبحت الصلاة الواحدة تقام أربع مرات، وينتصب لكل إقامة إمام مذهب من المذاهب الأربعة، ويصلى أتباع كل مذهب على الأغلب وراء إمام مذهبهم، فيصلي الشافعي، ثم الحنفي، ثم المالكي، ثم الحنبلي في الصلوات ما عدا المغرب، يصلونه جميعا في وقت واحد نظراً لضيق الوقت مما يؤدي إلى التداخل بين المصلين ولغاية سنة ٨١١هـ/١٤٠٨م حيث انفرد الشافعي بصلاة المغرب بالناس، واستمر هذا الأمر لغاية ٨١٦/١٢/٦هـ -٢/٤/١٤١٣م.

فرجع الأمر كما كان سابقا من صلاة المغرب للأئمة الثلاثة غير الشافعي، وكذلك كانت تجتمع الأئمة الثلاثة ما عدا الشافعي على صلاة العشاء في رمضان في وقت واحد، وبقي الوضع على حاله إلى أن قرر العلماء في سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م. أن تكون الجماعة التي تقام بالمسجد الحرام جماعتين بإمامين في أوقات الصلوات الخمس ما عدا صلاة المغرب حتى إذا لم يدرك الناس الصلاة مع الإمام الأول أدركوها مع الإمام الثاني بغير تفريق بين الإمام المصلّي من أي مذهب كان، فيصلي إمام الحنابلة أول الوقت من كل صلاة، ويصلي بعده أئمة المذاهب الأخرى وسار الوضع مدة، ولكن لوحظ أن بعضا من الناس يكون في المسجد الحرام والصلاة قائمة فلا يصلي مع إخوانه المصلين وحجته أنه ينتظر حتى يجيء الإمام الذي هو على نفس مذهبه، وبالتالي يصلي خلفه وقد ظل عدد المتخلفين يتكاثر، وأصبح ظاهرة لافتة ومقلقة، فأمر الملك عبدالعزيز آل سعود ـ رحمه الله ـ بعقد اجتماع للعلماء، فقرروا أن تكون الجماعة التي تقام في المسجد الحرام جماعة واحدة، وأن ينتخب من كل مذهب ثلاثة أئمة، ومن الحنابلة إمامان يصلون بالتناوب في أوقات الصلوات الخمس، ولايصلي في الوقت إلا إمام

واحد، ولا يتخلف عن الصلاة خلف أي إمام من هؤلاء الأئمة، وبذلك انتهى في عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، وللأبد تعدد الجماعات في المسجد الحرام، وأصبحت جماعة واحدة لا فرق ولا تفريق(١٠).

❁❁❁

وجاءت تعيينات الملك عبدالعزيز لأئمة الحرم المكيِّ وخطبائه على مرحلتين، وممن ذكر الأئمة والخطباء جملة منذ عصر الإسلام إلى عصرنا هذا، الأستاذ يوسف الصبحي في كتابه الموسوم بـ(وسام الكرم في تراجم أئمة وخطباء الحرم عبر العصور)، ذكرهم حسب الترتيب الهجائي وحسب ما توصل إليه منهم، وهنا تم استخلاص أسماء المشايخ الأئمة والخطباء الذين عينهم الملك عبدالعزيز وقسمت تعييناته إلى مرحلتين زمنيتين:

الأولى: من ضم الملك عبد العزيز للحجاز عام١٣٤٣هـ، وتنتهي عام ١٣٤٥هـ، وذلك بأمرالملك عبد العزيز بإلغاء المقامات الأربع (المذهبية) وتوحيد الصلاة جماعة واحدة خلف إمام واحد، وقد تعين في هذه الفترة كلٌّ مِن:

١- عبدالرحمن بن محمد بن حمد بن داود، ولد بالرياض عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م، وتعين عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م، ت١٣٥٥هـ/١٩٣٦م ببلدة الخرمة.

٢- الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، ولد بالرياض عام ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م وتعين عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م، ت١٣٦٧هـ/١٩٤٧م بالرياض، وهو جد سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ متعه الله بالصحة والعافية.

٣- الشيخ عبدالله بن حسن بن حسين آل الشيخ، ولد بالرياض عام

(١٠) المقامات الأربع في المسجد الحرام، بحث منشور، د. فوزي محمد ساعاتي، جامعة أم القرى.

١٢٨٧هـ وصلى عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م ثم عين عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م وتوفي ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م بمكة، (رئيس القضاة في الحجاز).

٤- الشيخ حمد بن محمد الخطيب، ولد بحائل عام ١٢٦٦هـ/١٨٤٩م، وتعين عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م، ت١٣٤٦هـ/١٩٢٧م بمصر.

٥- الشيخ عبدالظاهر بن محمد أبوالسمح، ولد بمصر عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م، وتعين عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م، ت١٣٧٠هـ/١٩٥٠م بمصر.

والثانية: تبدأ من إبطال المقامات وتوحيد الصلاة جماعة واحدة عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م وتنتهي بوفاة الملك عبدالعزيز رحمه الله عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م وقد تعين في هذه الفترة كل من:

١- الشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط، ولد بمكة عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م وصلى إماماً عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م ثم عين إماماً وخطيباً عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م واستمر حتى اعتذر عن الإمامة والخطابة عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ت ١٤١٥هـ/١٩٩٤م بمكة.

٢- الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة، ولد بمصر عام ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م تعين في هذه الفترة إماماً وخطيباً مساعداً، ت١٣٩٢هـ/١٩٧٢م بمكة.

٣- الشيخ عبدالله بن محمد الخليفي، ولد في البكيرية بمنطقة القصيم عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م وصلى إماماً عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م ثم عين إماما وخطيباً عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م واستمر حتى توفي عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م بالطائف ودفن بمكة.

٤- الشيخ عبدالمهيمن بن محمد أبو السمح، ولد بمصر عام ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م وتعين عام ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م واستمر في الإمامة والخطابة حتى عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ت١٣٩٩هـ/١٩٧٨م بمكة، وهو أخو الشيخ عبدالظاهرأبوالسمح.

٥- الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن حسن بن حسين آل الشيخ، ولد في الرياض

عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧م تعين عام ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م، ت١٤١٠هـ/١٩٨٩م بالرياض، رحم الله الجميع وأسكنهم فسيح جنانه.

وقد تميزت تعيينات الملك عبدالعزيز رحمه الله في المرحلة الأولى من تعييناته، بمعرفته الشخصية للمشايخ الذين تعينوا فيها، حيث عرفهم عن قرب بالعلم والصلاح والتقوى والورع والقوة على أداء الأمانة وتحمل المسؤولية، وقد شاركوا مع الملك عبد العزيز حين توحيد أرجاء البلاد بالنصح والتوجيه ونشر العقيدة السلفية، أما الشيخ أبو السمح فقد التقى بالملك عبد العزيز بمكة عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤(١١).

❁❁❁

ولقد أثارت المقامات والمحاريب الأربعة في المسجد الحرام في القرن السادس الهجري ضجة كبيرة بين الفقهاء وقتئذ فمن مَانع ومن مجيز، وكان كثير من الفقهاء منكرين لذلك وناهين عنه لأن ذلك مما يخالف الأصول العامة للشريعة، وقد كان في أول الأمر الأربعة الأئمة يصلون في وقت واحد ثم لما أُنكر هذا الأمر ممن أنكره صاروا يصلون الواحد تلو الآخر.

وتتركز الخلفية الفقهية لهذا الأمر في مسألة حكم اقتداء المأموم بمخالف له في المذهب وذلك في حالتين:

- الأولى: أن يعلم المأموم أن إمامه أتى بما يبطل الصلاة على مذهب المأموم
- والثانية: ألا يعلم المأموم أن إمامه أتى بما يبطل الصلاة على مذهب المأموم.

قال ابن تيمية كما جاء في الفتاوى الكبرى ٢/٣١٧: (هذه المسائل لها صورتان:

إحداهما: أن لايعرف المأموم أن إمامه فعل ما يبطل الصلاة، فهنا يصلي المأموم خلفه باتفاق السلف، والأئمة الأربعة، وغيرهم.

(١١) تعيينات الملك عبدالعزيز (رحمه الله) لأئمة وخطباء الحرم المكي من عام ١٣٤٣هـ إلى عام ١٣٧٣هـ، دراسة منشورة، أحمد بن عبدالله بن علي المسعود، صحيفة الجزيرة، الأحد ٠٨ ذوالحجة ١٤٣١ العدد ١٣٩٢٦.

وليس في هذا خلاف متقدم، وإنما خالف بعض المتعصبين من المتأخرين: فزعم أن الصلاة خلف الحنفي لا تصح، وإن أتى بالواجبات، لأنه أداها وهو لا يعتقد وجوبها....

الصورة الثانية: أن يتيقن المأموم أن الإمام فعل ما لا يسوغ عنده : مثل أن يمس ذكره، أو النساء لشهوة، أو يحتجم، أو يفتصد، أو يتقيأ ثم يصلي بلا وضوء، فهذه الصورة فيها نزاع مشهور :

- فأحد القولين لا تصح صلاة المأموم، لأنه يعتقد بطلان صلاة إمامه، كما قال ذلك من قاله من أصحاب أبي حنيفة، والشافعي، وأحمد .

- والقول الثاني : تصح صلاة المأموم، وهو قول جمهور السلف، وهو مذهب مالك، وهو القول الآخر في مذهب الشافعي، وأحمد، بل وأبي حنيفة وأكثر نصوص أحمد على هذا وفي موسوعة الفقه الكويتية : ٦/ ٣٧: الاقتداء بمن يخالفه في الفروع:

- لا خلاف بين الفقهاء في صحة الاقتداء بإمام يخالف المقتدي في الفروع، إذا كان الإمام يتحامى مواضع الخلاف، بأن يتوضأ من الخارج النجس من غير السبيلين كالفصد مثلا، ولا ينحرف عن القبلة انحرافا فاحشا، ويراعي الدلك والموالاة في الوضوء، والطمأنينة في الصلاة .

- وكذلك يصح الاقتداء بإمام مخالف في المذهب إذا كان لا يعلم منه الإتيان بما يفسد الصلاة عند المقتدي بيقين، لأن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المسلمين لم يزل بعضهم يقتدي ببعض مع اختلافهم في الفروع، ولما فيه من وحدة الصف وقوة المسلمين.

- فقد صرح المالكية والحنابلة ـ وهو رواية عند الشافعية ـ بصحة الاقتداء، لأن المعتبر في شروط الصلاة مذهب الإمام لا المأموم، ما لم يكن المتروك ركنا داخلا في الصلاة عند المالكية، كترك الرفع من الركوع .

- وفي الأصح عند الشافعية لا يصح الاقتداء اعتبارا بنية المقتدي، لأنه يعتقد

فساد صلاة إمامه، فلا يمكن البناء عليه .

- وقال الحنفية: إن تيقن المقتدي ترك الإمام مراعاة الفروض عند المقتدي لم يصح الاقتداء، وإن علم تركه للواجبات فقط يكره، أما إن علم منه ترك السنن فينبغي أن يقتدي به، لأن الجماعة واجبة، فتقدم على ترك كراهة التنزيه، وهذا بناء على أن العبرة لرأي المقتدي ـ وهو الأصح ـ وقيل: لرأي الإمام، وعليه جماعة. قال في النهاية : وهو الأقيس، وعليه فيصح الاقتداء، وإن كان الإمام لا يحتاط .

من أقوال المانعين:

- رحمة الله السندي وخير الدين الرملي الحنفيان :
- قال ابن عابدين في حاشيته على الحصكفي ١/٣٧٧: (وقد ألف جماعة من العلماء رسائل في كراهة ما يفعل في الحرمين الشريفين وغيرهما من تعداد الأئمة والجماعات وصرحوا بأن الصلاة مع أول إمام أفضل، ومنهم صاحب المنسك المشهور العلامة الشيخ رحمة الله السندي تلميذ المحقق ابن الهمام، فقد نقل عن العلامة الخير الرملي في باب الإمامة: أن بعض مشايخنا سنة إحدى وخمسين وخمسمائة أنكر ذلك منهم الشريف الغزنوي وأن بعض المالكية في سنة خمسين وخمسمائة أفتى بمنع ذلك على المذاهب الأربعة ونقل عن جماعة من علماء المذاهب إنكار ذلك أيضا) .

ابن فرحون المالكي:

- قال الحطاب[١٢]: (ثم قال ابن فرحون: ووقفت بثغر الإسكندرية على تأليف يخالف ما أفتى به الجماعة وأن الإمام الراتب هو إمام المقام ولا أثر لأمر الخليفة في رفع الكراهة الحاصلة في جمع جماعة بعد جماعة واستدل على ذلك بأدلة كثيرة وألف في ذلك تأليفا ولم يحضرني الآن اسم مؤلفه رحم الله الجميع، انتهى .

(١٢) السابق، ٢،١١٣.

- قلت: وقد وقفت على تأليفين في هذه المسألة : أحدهما: للشيخ الإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الله بن الحباب السعدي المالكي، والثاني منهما: للشيخ الإمام أبي إبراهيم الغساني المالكي).

ابن الحباب السعدي المالكي:

قال الحطاب(١٣): (ثم رد ابن الحباب على المجيزين من أهل الإسكندرية وبالغ في الرد عليهم وذكر أن بعضهم رجع عما أفتى به لما وقف على كلامه، وقال في الرد عليهم : قولهم هذه الصلاة جائزة لا كراهة فيها خلاف الإجماع فإن الأمة مجمعة على أن هذه الصلاة لا تجوز وإن أقل أحوالها أن تكون مكروهة لأن الذي اختلف العلماء فيه إنما هو في مسجد ليس له إمام راتب أو له إمام راتب وأقيمت الصلاة فيه جماعة ثم جاء آخرون فأرادوا إقامة تلك الصلاة جماعة ...

- فهذا موضع الخلاف فأما حضور جماعتين أو أكثر في مسجد واحد ثم تقام الصلاة فيتقدم الإمام الراتب فيصلي وأولئك عكوف، من غير ضرورة تدعوهم إلى ذلك، تاركون لإقامة الصلاة مع الإمام الراتب، متشاغلون بالنوافل والحديث حتى تنقضي صلاة الأول ثم يقوم الذي يليه وتبقى الجماعة الأخرى على نحو ما ذكرنا ثم يصلون أو تحضر الصلاة الواحدة كالمغرب فيقيم كل إمام الصلاة جهرا يسمعها الكافة ووجوههم مترائية والمقتدون بهم مختلطون في الصفوف ويسمع كل واحد من الأئمة قراءة الآخرين ويركعون ويسجدون فيكون أحدهم في الركوع والآخر في الرفع منه والآخر في السجود فالأمة مجمعة على أن هذه الصلاة لا تجوز وأقل أحوالها أن تكون مكروهة، فقول القائل إنها جائزة لا كراهة فيها خرق لإجماع الصحابة والقرن الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس إلى حين ظهور هذه البدعة، ثم قال في موضع آخر بعد أن تكلم على المسألة وإنها

(١٣) السابق، ٢،١١٣.

ممنوعة على مذهب مالك وغيره ورد على من أفتى بخلافه : فأما أحمد فكفانا في المسألة مهمة فإنه منع من إقامة صلاة واحدة بجماعتين في المسجد الحرام الذي الكلام فيه ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقد حُكى لك أن مذهب مالك والشافعي وأصحاب الرأي الذين منهم أبو حنيفة أنهم لا يرون إقامة صلاة بإمامين في مسجد واحد، فأما إقامة صلاة واحدة بإمامين راتبين يحضر كل واحد من الإمامين فيتقدم أحدهما وهو الذي رتب ليصلي أولا وتجلس الجماعة الأخرى وإمامهم عكوفا حتى يفرغ الأول ثم يقيمون صلاتهم فهذا مما لم يقل به أحد ولا يمكن أحدا أن يحكي مثل هذا القول عن أحد من الفقهاء لا فعلا ولا قولا فكيف بإمامين يقيمان الصلاة في وقت واحد يقول كل واحدٍ منهما حي على الصلاة ويكبر كل واحد منهما وأهل القدوة مختلطون ويسمع كل واحد قراءة الآخر فهؤلاء زادوا على الخلاف الذي لسلف الأمة وخلفها مخالفة قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن، والله لم يرض هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتنفلين تنفلا في المسجد بل لم يرضه لمقتد اقتدى به فصلى خلفه فكيف يرضى ذلك لإمامين منفردين هذا مما لا نعلم له نظيرا في قديم ولا حديث، ثم قال في موضع آخر : فأما إقامة صلاة المغرب وصلاة العشاء في شهر رمضان في وقت واحد فلم يستحسنها أحد من العلماء بل استقبحها كل من سئل عنها ومنهم من بادر بالإنكار من غير سؤال).

أبو بكر الطرطوشي ويحيى الزناتي المالكيان

- قال الحطاب(١٤): (قال ابن الحباب المالكي : وأما إذن الإمام في ذلك فلا يصيره جائزا كما لو أذن الإمام للمالكي في بيع النبيذ أو التوضي به أو في أن يؤم قوما ولا يقرأ الحمد لله رب العالمين أو في النكاح بغير ولي اهـ وأطال

(١٤) السابق، ٢،١١٣.

في ذلك وذكر أن الشيخ أبا بكر الطرطوشي والشيخ يحيى الزناتي أنكرا هذه الصلاة وأنهما لم يصليا خلف إمام المالكية في الحرم الشريف ركعة واحدة، قال: وكان إمام المالكية في ذلك الوقت غير مغموص عليه بوجه من وجوه الفساد وهو رزين في أيام الزناتي، والقابسي في أيام الطرطوشي، ثم قال: وحال هذين الرجلين مشهور عن أقراننا ومن قبلنا بيسير) .

جماعة من علماء المالكية والحنفية

- قال الحطاب(١٥): (ذكر ابن الحباب المالكي عن جماعة من علماء المالكية والحنفية وردوا إلى مكة في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة وأنهم أنكروا صلاة الأئمة الأربعة مترتبين على الصفة المعهودة وأنه عرض ما أملاه في عدم جواز هذه الصلاة وأنكر إقامتها على جماعة من العلماء وأنهم وافقوه على أن المنع من ذلك هو مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة انتهى مختصرا غالبه بالمعنى) .

أبو إبراهيم الغساني المالكي:

- قال الحطاب(١٦): (وقال الشيخ أبو إبراهيم الغساني: إن افتراق الجماعة عند الإقامة على أئمة متعددة إمام ساجد وإمام راكع وإمام يقول سمع الله لمن حمده لم يوجد من ذكره من الأئمة ولا أذن به أحد بعد الرسول عليه الصلاة والسلام لا من صحت عقيدته ولا من فسدت لا في سفر ولا في حضر ولا عند تلاحم السيوف وتضام الصفوف في سبيل الله ولا يوجد في ذلك أثر لمن تقدم فيكون له به أسوة انتهى) اهـ.

(١٥) السابق، ٢،١١٣.
(١٦) السابق، ٢،١١٣.
(١٧) السابق، ٢،١١٣.

قول ابن عرفة المالكي:

- قال الحطاب(١٧):

- (قال ابن ظهيرة: وقد أخبرني بعض أهل العلم أنه اجتمع بالشيخ الإمام العلامة عالم المغرب في وقته المجمع على علمه ودينه وفضيلته أبي عبدالله بن عرفة في حجته سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة بالمسجد الحرام فإنه لما رأى اجتماع الأئمة الأربعة في صلاة المغرب أنكر ذلك وقال إن ذلك لا يجوز بإجماع المسلمين لا أعلم بينهم في ذلك اختلافا انتهى، ثم قال: وهذا صحيح لا شك فيه وبشاعة ذلك وشناعته ظاهرة لا أعلم بينهم في ذلك اختلافا انتهى) .

القاضي جمال الدين بن ظهيرة الشافعي:

- قال الحطاب(١٨): وسئل القاضي جمال الدين بن ظهيرة عن إقامة الأئمة الأربعة لصلاة المغرب في وقت واحد وقال القائل في السؤال: إن ذلك لم يكن في زمن النبوة ولا الخلفاء الراشدين ولا في زمن الأئمة الأربعة، وعن قول بعض فقهاء الإسكندرية : إن المسجد الحرام، كأربعة مساجد وأن ذلك مخالف لقول الله تعالى : سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ولقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ولم يقل المساجد الحرام، فأجاب بأن "صلاة الأئمة الأربعة المغرب دفعة واحدة من البدع الفظيعة والأمور الشنيعة التي لم تزل العلماء ينكرونها في الحديث والقديم ويردونها على مخترعها القادم منهم والمقيم ثم ذكر بعض كلام ابن الحباب الذي ذكرناه وكلام الغساني، ثم قال: وقد كفانا هذان الرجلان في هذه المسألة وفيما نقله الأول منهما من إجماع الأئمة وكلام الأئمة كفاية".

(١٨) السابق، ٢،١١٣.

- ثم قال : وهذا صحيح لا شك فيه وبشاعة ذلك وشناعته ظاهرة لمن ألهم رشده ولم تمل به عصبية، ودلائل المنع من ذلك من السنة الشريفة أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وقد يحصل من ذلك من الضرر في الموسم على المصلين ما لا مزيد عليه وتبطل صلاة كثير منهم للاشتباه وجميع البلاد التي تقام فيها هذه الجماعات يجتمعون في صلاة المغرب على إمام واحد وهو الشافعي الراتب الأول كبيت المقدس ودمشق وغيرهما.

- وعلى الجملة فذلك من البدع التي يجب إنكارها والسعي لله تعالى في خفض منارها وإزالة شعارها واجتماع الناس على أمام واحد وهو الإمام الراتب، ويثاب ولي الأمر على إزالة هذا المنكر وينال به عند الله الدرجات العالية ويؤجر وكل من قام في ذلك فله الأجر الوافر والخير العظيم المتكاثر، ولا يجوز لمن علم هذه البدعة السكوت عليها بل ولا على أقل منها لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ومن امتنع من طاعة ولي الأمر في ذلك فهو عاص لله ولرسوله وذلك جرح في شهادته وقادح في إمامته.

- وأما قول من قال من فقهاء الإسكندرية : بأن المسجد الحرام كأربعة مساجد فهو قول باطل سخيف وهو أقل من أن يتعرض له برد لمخالفته المحسوس والأدلة الظاهرة المتكاثرة من الكتاب والسنة انتهى)اهـ

الحطاب المالكي:

- قال الحطاب(١٩): (قلت : وما قاله هؤلاء الأئمة ظاهر لا شك فيه إذ لا يشك عاقل في أن هذا الفعل المذكور مناقض لمقصود الشارع من مشروعية صلاة الجماعة وهو اجتماع المسلمين وأن تعود بركة بعضهم على بعض وأن لا يؤدي ذلك إلى تفرقة

(١٩) السابق، ٢،١١٤.

الكلمة ولم يسمح الشارع بتفريق الجماعة بإمامين عند الضرورة الشديدة وهي حضور القتال مع عدو الدين بل أمر بقسم الجماعة وصلاتهم بإمام واحد وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله بهدم مسجد الضرار لما اتخذ لتفريق الجماعة) .

والد الحطاب المالكي:

قال الحطاب(٢٠): ((ولقد أخبرني والدي رحمه الله تعالى عن بعض شيوخه : أنه كان يقول فعل هؤلاء الأئمة في تفريق الجماعة يشبه فعل مسجد أهل الضرار، وهذا كله في غير المغرب وأما ما كان يفعل في المغرب فلا يشك عاقل في حرمته مع أنه لم نر في الزمن الذي أدركناه اجتماع الأئمة الأربعة فيها وإنما كان يصليها الشافعي والحنفي، وكان سيدي الوالد رحمه الله تعالى ينكر ذلك غاية الإنكار وأجاب لما سئل عن ذلك في سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة بما صورته : أما اجتماع إمامين بجماعتين في صلاة واحدة في وقت واحد في مسجد واحد فهذا لا يجوز وقد نقل الإجماع على عدم جواز ذلك الشيخ أبو القاسم بن الحباب والشيخ أبو إبراهيم الغساني والقاضي جمال الدين ظهيرة الشافعي في جواب سؤاله سأله عنه الشيخ موسى المناوي وقال إن ذلك من البدع الفظيعة والأمور الشنيعة التي لم يزل العلماء ينكرونها في الحديث والقديم ويردونها على مخترعها القادم منهم والمقيم ونقل عن ابن عرفة أنه لما حج في سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ورأى اجتماع الأئمة في صلاة المغرب أنكر ذلك وقال إن ذلك لا يجوز باجتماع المسلمين لا أعلم بينهم في ذلك اختلافاً).

ابن الأمير الصنعاني

قال في تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد (ص ٤١) : (هذا حرم الله الذي هو أفضل بقاع الدنيا، بالاتفاق وإجماع العلماء، أحدث فيه بعض ملوك الشراكسة

(٢٠) السابق، ٢،١١٤.

الجهلة الضلال هذه المقامات الأربعة التي فرقت عبادة العباد واشتملت على ما لا يحصيه إلا الله عز وجل من الفساد، وفرقت عبادات المسلمين وصيرتهم كالملل المختلفة في الدين بدعة قرت بها عين إبليس اللعين، وصيرت المسلمين ضحكة للشياطين، وقد سكت الناس عليها ووفد علماء الآفاق والأبدال والأقطاب إليها وشاهدها كل ذي عينين، وسمع بها كل ذي أذنين، أفهذا السكوت دليل على جوازها؟ هذا لا يقوله من له إلمام بشيء من المعارف) .

من أقوال المجيزين

إبراهيم البيري والملا علي قاري الحنفيان:

- قال ابن عابدين في حاشيته على الحصكفي ١/٣٧٧ في معرض الحديث عن المقامات الأربعة : (لكن ألف العلامة الشيخ إبراهيم البيري شارح الأشباه رسالة سماها (الأقوال المرضية) أثبت فيها الجواز وكراهة الاقتداء بالمخالف لأنه وإن راعى مواضع الخلاف لا يترك ما يلزم من تركه مكروه مذهب كالجهر بالبسملة والتأمين ورفع اليدين وجلسة الاستراحة والصلاة على النبي [صلى الله عليه وآله وسلم] في القعدة الأولى ورؤيته السلام الثاني سنة وغير ذلك مما تجب فيها الإعادة عندنا أو تستحب، وكذا ألف العلامة الشيخ علي القاري رسالة سماها (الاهتداء في الاقتداء) أثبت فيها الجواز لكن نفى فيها كراهة الاقتداء بالمخالف إذا راعى في الشروط والأركان فقط) .

- قضاة المذاهب الأربعة بالحجاز وأئمة الشافعية والحنفية بالحرم

- قال الحطاب في مواهب الجليل ٢/١١٥: (فلما أجاب سيدي الوالد رحمه الله تعالى بهذا الجواب في سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة اجتمع القضاة الأربعة ونائب جدة وملك النجار وأئمة الشافعية والحنفية في الحطيم واتفق أمرهم على أن الحنفي يشرع في الصلاة قبل الشافعي وإذا قام الحنفي لركعته الثالثة من صلاة المغرب شرع الشافعية في إقامة الصلاة وإلاحرام ويطيل الشافعي القراءة

حتى لا يركع في الأولى إلا بعد سلام الحنفي واستمر الأمر على ذلك إلى سنة خمس وأربعين وتسعمائة فيما أظن أو سنة ست ثم أمر بعض نواب جدة الشافعية أن لا يقيموا الصلاة ولا يشرعوا في الإقامة حتى يسلم الحنفي من صلاة المغرب ولم يمكن مخالفته فخفت البدعة بسبب ذلك ولله الحمد على ذلك واستمر على ذلك إلى وقتنا هذا في سنة خمسين وتسعمائة) انتهى(٢١) (٢٢).

❁❁❁

ولقد أوردنا الانقسامات الفقهية العميقة حول قضية المحاريب الأربعة على قدر الحرج والعنت الذي كان يلقاه المسلمون في التعبد آنذاك، وكيف أن المؤسس الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود رد إلى الحرمين روحانيتهما مكتملة، بهذا العمل الجليل الذي جمع قلوب الأمة قبل صفوفها من جديد في جماعة واحدة، وخلف إمام واحد، ومحراب واحد، يعبدون رباً واحداً، وهو جوهر دين الإسلام، وأصل عقيدته.

الأمر الذي يجسده فضيلة الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين ـ رحمه الله، الرئيس العام الأسبق لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، عضو هيئة كبار العلماء، وعضو المجلس الرئاسي لمركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني بالمملكة العربية السعودية، في معرض رده على تقارير الحرية الدينية التي تصدرها وزارة الخارجية الأمريكية عن المملكة العربية السعودية رداً على مقولة كانت تشيع قبل مائة سنة أن الثقافة الشائعة (في المملكة العربية السعودية حالياً) تستند إلى مذهب خامس ابتدع وأضيف في القرون الأخيرة إلى المذاهب السنية الأربعة المعروفة، قائلاً:

ويقول المثل الشائع إذا كنت كذوبا فكن ذكوراً، في الماضي كانت هذه الإشاعة تلقى القبول، بسبب ضعف الاتصالات، والتواصل، وعدم وجود وسائل الإعلان

(٢١)حكم المقامات والمحاريب الأربعة في الحرم المكي، عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي، بحث منشور، ملتقى الحنابلة الفقهي.
(٢٢) حكم المقامات والمحاريب الأربعة في الحرم المكي، عبدالفتاح بن صالح قديش اليافعي، بحث منشور، ملتقى الحنابلة الفقهي.

والإعلام، أما في هذا العصر عصر الاتصالات والتواصل، وقدوم أكثر من أربعة ملايين من الحجاج والمعتمرين كل سنة عدا الوافدين للزيارة والسياحة والعمل والتجارة، وعدم رؤية القادمين أي فارق في طقوس العبادة بين ما يجرى في المملكة العربية السعودية وغيرها، ومعرفة القادمين بزوال آثار التعصب المذهبي فبعد أن كان المسلمون يصلون بأربعة أئمة في الحرمين الشريفين يوزعون بينهم عند كل إقامة للصلاة حسب مذاهبهم صاروا يصلون خلف إمام واحد قد يكون شافعياً أو حنفياً أو مالكيا أو حنبليا، ويسمعون المدرسين في الحرمين يذكرون مذاهب الأئمة الأربعة عند تقرير الدروس باحترام وتبجيل لكل منهم، وعدم التفريق بينهم، وإذا اختار المدرس اعتماد كتاب لمؤلف حنفي مثل كتاب "العقيدة الطحاوية" فليس ذلك لأنه متعصب للمذهب الحنفي وإنما اختاره لأنه يراه أنسب كتاب لتقرير درس العقيدة، وكذا إذا اختار "الرحبية" في الفرائض أو "بلوغ المرام من أدلة الأحكام" وكلاهما لمؤلفين شافعيين فما ذلك للتعصب للمذهب الشافعي وإنما لأن المدرس رأى أنهما أنسب لتقرير الدرس في موضوعيهما.

وإذا أفتى المفتي فلا يتقيد بمذهب معين من مذاهب أهل السنة وإنما يختار ما يعتقد أنه أرجح دليلاً.

ولا يلتزم القاضي بمذهب معين، فإذا قضى بما يوافق مذهب أحد الأئمة الأربعة فلا يمكن أن ينقض حكمه بسبب اختياره ذلك المذهب.

وفي جامعات المملكة العربية السعودية تكتب الرسائل والأطروحات في الفقه فتعالج القضية على المذاهب الأربعة بدون تمييز من ناحية الإجلال والاحترام للعلماء، وإنما قد يرجح الباحث من الأقوال ما يراه أقوى دليلا.

ويضيف الشيخ الحصين ـ رحمه الله ـ : وكما يقدم القادمون للمملكة العربية السعودية فلا يرون مذهباً خامساً، ولا دينا غير الدين الذي يعرفونه، ولا تفسيراً خاصاً للإسلام، تنقل الشعائر وخطب الجمعة بالتلفاز إلى الكرة الأرضية كلها

فلا يرى أحد أن في المملكة العربية السعودية طريقة للدين مختلفة، ولا يسمعون قولاً أو يرون فعلاً يختلف في الدين عما كان عليه أهل السنة طوال العصور.كل ما تختلف به المملكة العربية السعودية عن غيرها هو عدم وجود قبور أو مقامات يلجأ العامة إليها لطلب الحاجات أو التبرك بها أو العبادة عندها، ولكن لا أحد ينكر أن الوضع كان هكذا في العصور الأولى للإسلام ليس في أرض الحجاز بل في غيرها من أقطار العالم الإسلامي.ولا يوجد في مقبرة البقيع بناء مشيد على القبور ولكن هل ينكر أحد أن هيئة مقبرة البقيع في خلوها من ذلك أقرب إلى الهيئة التي كانت عليها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة وقرون طويلة بعده(٢٣).

(٢٣) هل في المملكة العربية السعودية حرية دينية؟صالح بن عبدالرحمن الحصين،الموقع الرسمي لفضيلته رحمه الله.

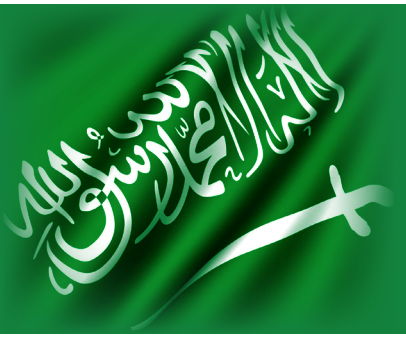

الفصل الثالث

الأمة الإسلامية تشيد بموحد جماعتها

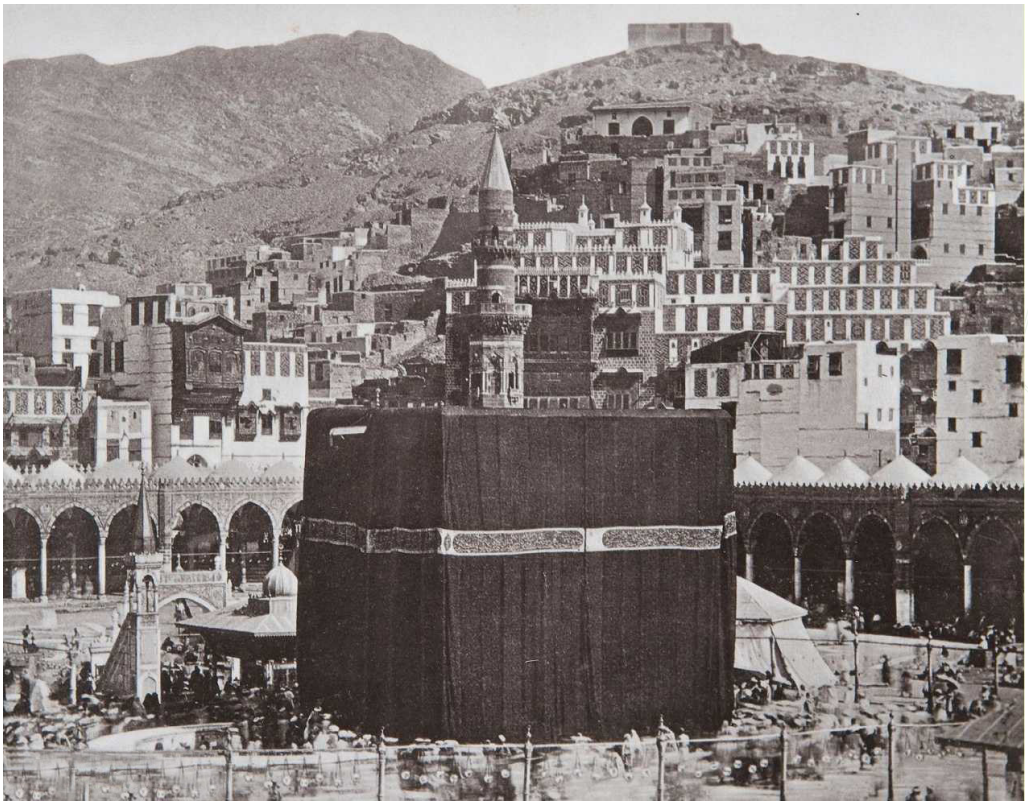

مع كتابيه (تاريخ عمارة المسجد الحرام) و(تاريخ الكعبة المعظمة) الذين أهداهما إلى الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ـ طيب الله ثراه ـ أرفق الشيخ حسين باسلامة.. مؤرخ الحرمين -رحمه الله- خطاباً، تحدث فيه بضمير الأمة الإسلامية إلى الرجل الذي رفع الحرج عنها، وخلص صلاتها في الحرمين مما كان يشوبها من شك وكدر، وشكر له صنيعه الكبير من أجل أمته الإسلامية. كتب الشيخ باسلامة للمؤسس يقول: "إن الذي دعاني إلى تقديمهما لجلالتكم هدية هو لأن الله تعالى قد خصكم بخدمة الحرمين الشريفين، وجعلكم حامي حمى بلده الأمين ومدينة نبيه سيد المرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم، فقد حميتموهما من تعدي المعتدين وقطعتم دار المفسدين، ونظمتم الدوائر، وأمنتم السبل، وأصلحتم الطرق، حتى أصبحت وفود بيت الله الحرام يؤدون مناسكهم في أمان واطمئنان تحت رعاية الله تعالى، ثم رعايتكم، وكنتم أول من أسس دار معمل الكسوة بأم القرى، وكسوتم الكعبة المعظمة بكسوة محاكة بمكة على أحسن منوال، وأبدع تطريز، ولأنكم قمتم بعمارة كل ما وهى وتداعى إلى الخراب بالمسجد الحرام مرات عديدة، وعملتم المظلات بالمسجد الحرام وقاية لوفود بيت الله الحرام، الآوين إليه من كل فج عميق من حر الظهيرة، وأنشأتم السبيلين اللذين هما خارج زمزم، وجعلتموهما سقاية الحاج، وكنتم أول من رصف شارع المسعى بالحجر الصوان، بعد أن كان يتلوث من وحله وغباره كل من يتطوف بين الصفا والمروة من حاج ومعتمر، وأتيتم بأعظم ساعة ضخمة منبهة للمسجد الحرام لم يأت بمثلها أحد قبلكم أو بما يضاهيها، وقد قام جلالتكم بطبع ونشر كثير من كتب السنة، من تفسير، وحديث، وتوحيد، وفقه

ومناسك حج، وتاريخ، وغير ذلك، وشجعتم المصنفين وأعنتموهم ببذل المال على طبع ونشر مؤلفاتهم، بما جعلتموهم مدينين لإحسانكم مدى الزمان" (٢٤) (٢٥).

❁❁❁

لكن دائرة محبي الموحد اتسعت لأبعد من حدود مملكته بكثير، فضمت قلوب العالم الإسلامي الذي وجد في هذا الحرص الكبير على وحدة صفوف المسلمين خلف إمام واحد في صلواتهم، وكانت أحد أبرز الأحداث التاريخية التي أقدم عليها المؤسس الملك عبدالعزيز ومن أقواها أثراً في الأمة الإسلامية التي قابلت مواقفه –طيب الله ثراه– بترحاب وحفاوة بالغين.

نورد هنا قصيدة لأمير الشعراء أحمد شوقي شاهدة على أن أمن الحجيج كان مفقوداً قبل مجيء الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ، وأن الحجاج كانوا يعانون الأمرين عند قدومهم لمكة المكرمة، فلا أقل من فقدهم مؤنتهم إن لم يفقدوا حياتهم وكرامتهم وأعراضهم! وهذه الشهادة من شاعر محايد ليس محسوباً على الملك عبدالعزيز ليقول قائلٌ بأنه يجامله، بل هو شاعر شعُر بما شعر به كل مسلم وحاج. فالحمد لله الذي قيض لهذه الأمة من يقف خادماً لحجاج بيته الحرام وزوار مسجد خير الأنام.

ضَجَّ الحِجازُ وَضَجَّ البَيتُ وَالحَرَمُ
وَاِستَصرَخَت رَبَّها في مَكَّةَ الأُمَمُ

(٢٤)حسين باسلامة.. مؤرخ الحرمين، تقرير منشور، صحيفة الرياض، الجمعة ١٧ ربيع الآخر ١٤٣٦ هـ - ٠٦ فبراير ٢٠١٥م - العدد ١٧٠٢٨

(٢٥) حسين باسلامة.. مؤرخ الحرمين، تقرير منشور، صحيفة الرياض، الجمعة ١٧ ربيع الآخر ١٤٣٦ هـ - ٠٦ فبراير ٢٠١٥م - العدد ١٧٠٢٨

قَد مَسَّها في حِماكَ الضُرُّ فَاقضِ لَها
خَليفَةَ اللَهِ أَنـتَ السَيِّدُ الحَكَمُ
لَكَ الرُبوعُ الَّتي ريعَ الحَجيجُ بِها
أَللشَريفِ عَلَيها أَم لَـكَ العَلَمُ
أُهينَ فيها ضُيوفُ اللَهِ وَاِضطُهِدوا
إِن أَنتَ لَم تَنتَقِم فَاللَهُ مُنتَقِم
أَفي الضُحى وَعُيونُ الجُندِ ناظِرَةٌ
تُسبى النِساءُ وَيُؤذى الأَهلُ وَالحَشَمُ
وَيُسْفَكُ الـدَمُ في أَرضٍ مُقَدَّسَةٍ
وَتُستَباحُ بِها الأَعراضُ وَالحُرَمُ؟
خَليفَةَ اللَهِ شَكوى المُسلِمينَ رَقَت
لِسُدَّةِ اللَهِ هَل تَرقى لَكَ الكَلِمُ
الحَجُّ رُكـنٌ مِنَ الإِســلامِ نُكبِرُهُ
وَاليَومَ يوشِكُ هَذا الرُكنُ يَنهَدِمُ
يَدُ الشَريفِ عَلى أَيدي الوُلاةِ عَلَت
وَنَعلُهُ دونَ رُكنِ البَيتِ تُستَلَمُ
نَيرونُ إِن قيسَ في بابِ الطُغاةِ بِهِ
مُبالَغٌ فيهِ وَالـحَـجّـاجُ مُتَّهَمُ
أَدِّبــهُ أَدَّب أَمــيرَ المُؤمِنينَ فَما
في العَفوِ عَن فاسِقٍ فَضلٌ وَلا كَرَمُ
لا تَـرجُ فيهِ وَقــاراً لِلرَسولِ فَما
بَينَ البُغاةِ وَبَينَ المُصطَفى رَحِمُ
اِبــنُ الرَسولِ فَتىً فيهِ شَمائِلُهُ
وَفيهِ نَخوَتُهُ وَالعَهدُ وَالشَمَمُ

ما كانَ طَهَ لِرَهطِ الفاسِقينَ أَباً
آلُ النَبِيِّ بِأَعلامِ الهُدى خُتِموا
مِنَ الشَريفِ وَمِن أَعوانِهِ فَعَلَت
نُعمى الزِيادَةِ ما لا تَفعَلُ النِقَمُ
عَــزَّ السَبيلُ إِلى طَــهَ وَتُربَتِهِ
فَمَن أَرادَ سَبيلاً فَالطَريقُ دَمُ
مُحَمَّدٌ رُوِّعَــت في القَبرِ أَعظَمُهُ
وَبــاتَ مُستَأمَناً في قَومِهِ الصَنَمُّ
وَخانَ عَونُ الرَفيقِ العَهدَ في بَلَدٍ
مِنهُ العُهودُ أَتَت لِلناسِ وَالذِمَمُ
قَد سالَ بِالدَمِ مِن ذَبحٍ وَمِن بَشَرٍ
وَاحمَرَّ فيهِ الحِمى وَالأَشهُرُ الحُرُمُ
وَفُزِّعَت في الخُدورِ الساعِياتُ لَهُ
الداعِياتُ وَقُــربُ اللَهِ مُغتَنَمُ
آبَت ثَكالى أَيامى بَعدَ ما أَخَذَت
مِن حَولِهِنَّ النَوى وَالأَينُقُ الرُّسُمُ
حُرِمنَ أَنوارَ خَيرِ الخَلقِ مِن كَثَبٍ
فَدَمعُهُنَّ مِنَ الحِرمانِ مُنسَجِمُ
أَيُّ الصَغائِرِ في الإِســلامِ فاشِيَةٌ
تودى بِأَيسَرِها الــدَولاتُ وَالأُمَــمُ
يَجيشُ صَدري وَلا يَجري بِها قَلَمي
وَلَو جَرى لَبَكى وَاِستَضحَكَ القَلَمُ
أَغضَيتُ ضَنّاً بِعِرضي أَن أَلَمَّ بِهِ
وَقَد يَروقُ العَمى لِلحُرِّ وَالصَمَمِ

مَوِّه عَلى الناسِ أَو غالِطهُمُ عَبَثاً
فَلَيسَ تَكتُمُهُم ما لَيسَ يَنكَتِمُ
مِنَ الزِيادَةِ في البَلوى وَإِن عَظُمَت
أَن يَعلَمَ الشامِتونَ اليَومَ ما عَلِموا
كُـلُّ الـجِـراحِ بِـآلامٍ فَما لَمَسَت
يَـدُ العَدُوِّ فَثَمَّ الجُرحُ وَالأَلَـمُ
وَالمَـوتُ أَهـوَنُ مِنها وَهيَ دامِيَةٌ
إِذا أَساها لِسانٌ لِلعِدى وَفَـمُ
رَبَّ الجَزيرَةِ() أَدرِكها فَقَد عَبَثَت
بِها الذِئابُ وَضَلَّ الراعِيَ الغَنَمُ
إِنَّ الَّذينَ تَوَلَّوا أَمرَها ظَلَموا
وَالظُلمُ تَصحَبُهُ الأَهـوالُ وَالظُلَمُ
في كُـلِّ يَـومٍ قِتالٌ تَقشَعِرُّ لَهُ
وَفِتنَةٌ في رُبـوعِ اللَهِ تَضطَرِمُ
أَزرى الشَريفُ وَأَحزابُ الشَريفِ بِها
وَقَسَّموها كَإِرثِ المَيتِ وَاِنقَسَموا
لا تُجزِهِم عَنكَ حُلماً وَاِجزِهِم عَنَتاً
في الحِلمِ ما يَسَمُ الأَفعالَ أَو يَصِمِ
كَفى الجَزيرَةَ ما جَرّوا لَها سَفَهاً
وَما يُحاوِلُ مِن أَطرافِها العَجَمُ
تِلكَ الثُغورُ عَلَيها وَهيَ زينَتُها
مَناهِلٌ عَذُبَت لِلقَومِ فَازدَحَموا
في كُـلِّ لُـجٍّ حَوالَيها لَهُم سُفُنٌ
وَفَـوقَ كُـلِّ مَكانٍ يابِسٍ قَـدَمُ

والاهُـــمُ أُمَـــراءُ السوءِ وَاتَّفَقوا
مَعَ العُداةِ عَلَيها فَالعُداةُ هُمُ
فَجَرِّدِ السَيفَ في وَقتٍ يُفيدُ بِهِ
فَـــإِنَّ لِلسَيفِ يَوماً ثُمَّ يَنصَرِمُ

وهذا عباس محمود العقاد أحد الروّاد الكبار من أعلام عصر النهضة في مصر صاحب العبقريات الشهير، في كتابه "ذكرياتي مع عاهل الجزيرة العربية " الذي صدر في عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٧عن دار الرفاعي للنشر والطباعة، يدَّبج ذكرى لقائه بالمؤسس بيراعه في كتاب خصه به، الأمر الذي يجسد تفاعل الأستاذ العقاد مع شخصية المؤسس الآسرة، ومع صنيعه الكبير الذي أسداه للأمة بتوحيد صفوفها في الحرمين الشريفين، وتطهيرها من كل ما كان يشوبها من بدع.

وكان الملك عبدالعزيز قد زار مصر أيام الملك فاروق، وأرسلت إليه باخرة "المحروسة" لتقله مع بعثة الشرف من جدة إلى مصر، وهذا من قمة الحفاوة، وكان المرافقون للملك عبدالعزيز في رحلته في مصرمن كبار رجال العائلة المالكة ومن كبار الأدباء والساسة، وكان من المشاركين في معية الملك عبدالعزيز الشاعر والأديب الكبير عباس محمود العقاد، الذي رافق الملك من جدة إلى مصر، ونظم على ظهر "المحروسة" قصيدة عصماء (٢٦).

"وقد ألقى أديب العربية وكاتبها الأكبر وشاعرها العظيم الأستاذ عباس محمود العقاد هذه القصيدة بين يدي الملك عبدالعزيز آل سعود في اليخت الملكي "المحروسة" يوم ذكرى جلوس جلالته وذلك في يوم ٥صفر ١٣٦٥هـ/ ٩ يناير ١٩٤٦م وقوبلت بالإعجاب البالغ والاستحسان الذي لا مزيد عليه، والتصفيق الذي لا حد له" (٢٧).

(٢٦) العقاد رافق الملك عبدالعزيز في رحلته إلى مصر ومدحه بقصيدتين، تقرير منشور، صحيفة اليوم، السبت الموافق ٤ أكتوبر ٢٠٠٣ العدد ١١٠٦٨.

(٢٧) لسراة الليل هتف الصباح، عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري، ص ٨٠٠.

قال العقاد في مدح المؤسس:

أسد العرين يخوض غيل الماء
يا بحر راضك قاهر الصحراء
حياة باديها وحاضرها معاً
فاغنم تحية يومه الوضاء
يوم من البشرى يردد ذكره
ركب السفين وجيرة البيداء
عش "ياطويل العمر" عيش معمر
تحيابه أمم من الأحياء
ما خص طالعك الرياض بيمنهِ
بل فاض من عَمَمٍ على الأرجاءِ
حق المواطن حين يذكر عهده
في الحمد والتبريك حق سواءِ
لا غرو نذكره ونهتف باسمه
في هذه الآفاق والأجواءِ
إن الذي غمر المليك بفضلهِ
ساق البحار إليه في البشراءِ
لم يقترن بالبحر عيد جلوسهِ
إلا لعمر زاخر ورخاءِ
وإذا به عبدالعزيز بطلعةٍ
كالبدر بين كواكب الأمراءِ
وأرى السماء تأملت مرآتها
في الماء فانطبعت على الخضراءِ

أرض النبوة حين تم فخارها
خلعت عوارفها عـلى الـدأمـاءِ
ملك أنـاف على العقول بعزمةٍ
وأتـــم ذاك بما يـــراه الـرائـي
جمع المهابة في العيون وفي النهى
وســمــا بمجد أبـــوة وإبـــاءِ
يـرعـاه بـارئـه ويـحـرس ركبهُ
في كـل أرض تحت كـل سماءِ
الـشرق والإســلام قد سعدا بمن
يعلو بآلهما إلى الـجـوزاءِ
في ظـل فـــاروق وظـل صديقهِ
عبدالعزيز يتم كل رخـاءِ (٢٨)

وقد خص العقاد الملك عبدالعزيز بقصيدة أخرى، وتخصيص الأديب العملاق قصيدتين في الملك المؤسس جاء على غيرالعادة من شاعر كبير عرف عنه الأنفة والاعتزاز بالنفس وعدم مدح الملوك والزعماء، وهذا يؤكد أن شخصية الملك المؤسس لم تكن عادية، وهو مابلورته سيرته العطرة على جميع الأصعدة... مدح الملك عبدالعزيز أثناء زيارته لمصر عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م أكثر من ٤٠ شاعراً، منهم محمود حسن إسماعيل وصالح جودت وبيرم التونسي وعلي محمود طه ومصطفى حمام ومحمد الأسمر.

ولم يحدث أن احتفلت مصر بملك أو رئيس دولة مثلما احتفت بزيارة الملك عبدالعزيز .

يقول المفكر السعودي د. حسن بن فهد الهويمل: "وفيما أنا ألوب الحقول

(٢٨) المرجع السابق، ص ٨٠٠-٨٠١.

المعرفية عثرت على القصة الكاملة للزيارة التاريخية التي قام بها الملك (عبدالعزيز) رحمه الله إلى مصر عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م. وتذكرت معها القصيدة العصماء التي أبدعها المفكر العربي الكبير (عباس محمود العقادت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) بهذه المناسبة... و(العقاد) بماوهبه الله من معارف وقدرات، لاتخطئ نظرته، ولايخيب ظنه، لقد بهرته شخصية الملك عبدالعزيز، ووجد فيه ضالته، حين صحبه في رحلته إلى مصر، ضمن بعثة الشرف التي رافقته على ظهر اليخت الملكي (المحروسة)، وقصة الرحلة، وخلفياتها "(٢٩).

ويضيف د. الهويمل: "والعقاد من قبل مغرم بشخصيات العظماء، ولقد شد عضده في سبر أغوارهم واكتشاف مواهبهم وعوامل تألقهم (المذهب النفسي في النقد) الذي تبناه من قبله (لوبون) فكان أن أنشأ العبقريات التي شغلت الناس، وأثارت فضولهم، واضطربت فيها آراؤهم، وقصيدته ومقالاته التي كتبها في أجواء هذه المناسبة تنحو هذا المنحى التحليلي، والعقاد ليس صحفياً تصرفه المناسبات، بل هو المفكر العميق التفكير، والمثقف الواسع الثقافة، والعالم الغزير المعرفة، والصريح الذي لا تأخذه بالحق لومة لائم، إنه شاهد على العصر، وموثق لأحداثه بصدق وأمانة وصراحة... والعقاد الذي استوعب فكر (لوبون) ومنهجه النفسي في عبقرياته، التقط (العدل) و(القوة) في شخصية (عمر بن الخطاب) و(العزم) و(الصدق) في شخصية (أبي بكر) وهذا لا يعني انعدام الصدق عند (عمر)، ولا يعني انعدام العدل عند (أبي بكر) وأحسب أن من حقي –والحالة تلك – التماس هذه الروح المستبدة في مرحلة التأسيس، وحصرها في خصلة متبدية للعيان تتمثل في (التسامح)، فالصفة المحورية حين تطغى على ما سواها تكون بمثابة الروح للأمة، ويقيني أن الذين ينقبون في مسيرة المؤسس يجدون هذه الروح بارزة كأنصع ما يكون البروز، ثابتة كأرسى ما يكون الثبات، غالبة كأقوى

(٢٩) يا بَحرُ رَاضَكَ قَاهِرُ الصَّحراءِ، مقال منشور، د. حسن بن فهد الهويمل، صحيفة الجزيرة، الثلاثاء ٢٣ رمضان ١٤٢٩ العدد ١٣١٤٤.

ما تكون الغلبة ومن ثم يحق لي أن أقول: إن (التسامح) يمكن أن تكون هي روح الأمة آنذاك، وهي الخليقة التي انطوى عليها الملك عبدالعزيز في معركتي التكوين والبناء"(٣٠).

وتأسيساً على حديث د. الهويمل عن صفة التسامح عند المؤسس، فما من شك في أنه كان لهذه الصفة عظيم الأثر في مساعي الملك عبدالعزيز ـ طيب الله ثراه ـ لإرساء حالة من التجاور والتعايش بين المذاهب في الحرمين الشريفين وفي جميع مناطق المملكة، على ألا يؤثر هذا التعايش في وحدة الصف الإسلامي، وقوة بنيان الأمة.

❁❁❁

وقريباً من معنى توحيد الإمامة في الحرمين الشريفين ضمن قائمة المواقف الإصلاحية للمؤسس الملك عبدالعزيز ـ طيب الله ثراه ـ يقول الأستاذ خيرالدين الزركلي معدداً المزايا الشخصية التي تحلى بها جلالة الملك عبدالعزيز-طيب الله ثراه- فقال:

تتطاحن الفرسان وهـو كأنه
مـا بينها علم يـمـوج وحيد
لا تبلغ الأسـيـاف مـن جثمان
إلا كما خـدش الحديد حديد
عرش بناه على النضال عماده
ودعـامـه الإيـمـان والتسديد
ضم القلوب مـوحـداً أشتاتها
لله ثـم لشعبه التوحيد(٣١)

(٣٠) المرجع السابق.
(٣١) عبقرية الملك عبدالعزيز، مقال منشور، أحمد عبدالقادر المهندس، صحيفة الرياض، الجمعة ٢٠رجب ١٤٢٨هـ - ٣أغسطس ٢٠٠٧م - العدد ١٤٢٨٤.

❁❁❁

وذهب الشاعر محمود حسن إسماعيل إلى كثير من المعاني تدور حول فكر التوحيد عند المؤسس، وحرصه –طيب الله ثراه– على وحدة الصف الإسلامي، فجاء في قصيدة محمود حسن إسماعيل التي ألقاها بين يدي المؤسس، تحت عنوان (عاهل الجزيرة في وادي النيل):

حـــادٍ من البيد هزتني قوافله
والنيل يصغي إليه أو يساجلهُ
يلقي الغناء حجازياً فتحسبهُ
تهجد الفجر أوابٌ يواصلهُ
أصغت له مصر فاهتاجت سرائرها
وللديار هـــوى تهفو شواغلهُ
معلَّمٌ كيف يشجي الريح كيف لها
تعيد تسبيح داودٍ فواصلهُ
وكيف تخطف سحر الشمس نغمتهُ
فينتهي كـل مـا قصته بابلهُ
وكيف بالجبل الـــراسي مزامرهُ
تشجيه حتى يريد الخطو كاهلهُ
مهد النبوات أرض النور موطنهُ
وفي مـــزار الهدى قامت منازلهُ
سارٍ يهاب الضحى أنوار خطوتهِ
ويعلم الفجر أن الركب حاملهُ
وتسمع الطير عنه وهي شاردةٌ
فـــإن دنـــا سربها قـــرت بلابلهُ

حَبٌّ، وماءٌ، وأعشاشٌ، وأمْن حِمى
فيه الغريب أخٌ، والضيف آهِلُهُ
سألته: لمن الركبان سائرةٌ
وللكريم اهتزازٌ إذ تسائلهُ
فقال إني من الشرق الذي سطعت
ونورت منه للدنيا رسائلهُ
من بقعةٍ عمَدُ الإسلام في يدها
سواعد الدهر يعييها تطاولهُ
مشى الرسول عليها فاغتدت حرماً
يجرد النفس للتسبيح داخلهُ
وشعَّ منها كتاب الله فهي حمى
لا بد يسجد قبل الخطو نازلهُ
بنى عليها وشاد الملك معتلياً
على المهابة سيفٌ عز حاملهُ
تلألأت منه فوق النيل زاخرةً
رؤى جبين أضاءته فضائلهُ
نور الشهادة تبديهِ أسرتهُ
وهالة المجد تضفيها حمائلهُ
وحوله من سماء البيد شارقةٌ
من البداوة تذكيها شمائلهُ
عطر النبوات نضاح على يده
كأن خلداً زكت فيه خمائلهُ
وفوق عينيه للتوحيد بارقةٌ
شعت ضياء بما تطوي دخائلهُ

شهادتان هما للروح مرفأه
فيها منار الهدى فيها مشاعلهُ
البيرق الأخضر الرفراف ضمهما
هدياً ونـــوراً لمن زاغــت دلائلهُ
الله أكــبر" في الشطين هاتفه"
كطير مكة إذ هاجت زواجلهُ
رأيته وضفاف النيل تحمله
والنيل يهتز للأبطال ساحلهُ
في موكب تفرح الإســـلام عزتهُ
وتلفت الــشرق للماضي مخايلهُ
.....(٣٢)

❁❁❁

وذهب الشاعر محمد الزبيري أيضاً إلى جوهر فكر التوحيد عند المؤسس وجهوده التي بذلها ـ طيب الله ثراه ـ لتوحيد صفوف الأمة، في قصيدة ألقاها بين يدي المؤسس، جاء فيها:

قلب الجزيرة في يمينك يخفقُ
وهوى العروبة في جبينك يشرقُ
ولعمر مجد المسلمين لأنــت في
أنــظــارهــم أمـــل مــنــير شيقُ
وهبوك أفئدة الـــولاء وهبتهم
مجداً تقدسه القلوب وتعشقُ

(٣٢) لسراة الليل هتف الصباح، عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري، ص ص٨١١-٨١٤.

إن الجزيرة شرقها وجنوبها
وشمالها حــرم بوجهك مونقُ
قــل لي بــربــك أي كــف عبدت
لك منهجاً ما كان قبلك يطرقُ
وبــأي عــزمٍ قمت وحــدك ناهضاً
والنوم في جفن العروبة مطبقُ
جــردت للطاغين سيفاً صارماً
فتمزقت آثــارهــم وتمزقوا
وقمعت عفريت الفلا فهديته
والسيف أهدى للجهولِ وأصدقُ
وبــذاك أمنت الحجيج وأفهموا
أن الفريضة قربة لا مــأزقُ
وهــدمــت كــل عقيدة ممقوتةٍ
كانت تضل بها القلوب وترهقُ
.....(٣٣)

❁❁❁

وأخيراً هذا الشاعرالفذ محمد بن عبدالله بن عثيمين الذي سجل كثيراً من أوصاف الملك عبدالعزيز وأيامه، وذب عنه ودعا إلى الانضواء تحت لوائه ـ رحمهم االله جميعاً يشيد ببعض صفات الملك عبدالعزيز فيقول(٣٤):

رعى الدين والدنيا رعاية محسن
وقــام بأعباء الخلافة كاهلُه
وأرضى بني الإســلام قولاً وسيرة
فذو الظلم أرداه وذو اليتم كافله

(٣٣) لسراة الليل هتف الصباح، عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري، ص٨١٩-٨٢٠.
(٣٤) الموسوعة الشاملة

وجدد منهاج الهدى بعدما عفا
وعزّ به الشرعُ الشريفُ وحاملُه
قصارى بني الدنيا دوامُ حياته
عسى الله يحييه وتعلو منازله
فكم كنز معروف أثــار ومفخر
أشاد ومجد ليس تحصى فضائله
قليل التشكي والتمني وإنما
إذا هم لم تسدد عليه مداخله
خَفِيُّ مَدَبِّ الكيد يقظان لم يكن
بــه غفلة لكنّ عــمــداً تغافلُه
ولا طالبٌ أمــراً سوى ما أفاده
به عزمه أو سيفُه أو عواملُه
وما نال هذا الملك حتى تقصدّت
صــدور عواليه وفلت مناصلُه
وأنعل أيــدي الجرو هام عِدَائِه
وزلزلت الأرض البعيد قنابلُه
ومــا زاده تيه الخلافة قسوة
نعم زاد عفواً حين زاد تطاوله
من القوم بسامين والوقتُ أكدر
من النقع وهابين والجدبُ شامله
علينا لك الرحمن أوجــب طاعةً
بنصٍ وبــرهــانٍ تلوح دلائله
فقال أطيعوا الله ثــمّ رسوله
وذا الأمر يدريه الذي هو عاقله

وقــال رســول الله سمعا وطاعة
لذي أمركم لو شطّ في الحكم عامِلُه
إليكم بني الإسلام شرقا ومغرباً
نصيحة من تهدى إليكم رسائلُه
هلموا إلى داعي الهدى وتعاونوا
على البر والتقوى فأنتم أماثله
وقوموا فــرادى ثم مثنى وفكروا
تروا أن نصحي لا اغتشاش يداخله
بــأن إمــام المسلمين ابــن فيصل
هو القائم الهادي بما هو فاصله
فقد كان في نجد قبيل ظهوره
من الهرج ما يبكي العيون تفاصله
تهارش هذا الناس في كل بلدة
ومن يتعد السور فالذئب آكله
فما بين مسلوب وما بين سالب
وآخــر مقتول وهــذاك قاتله
فأبدلكم ربــي من الفقر دولة
وبالذُّل عزا بزّ خصماً يناصله
بيمن إمــام أنــتــم في ظلاله
يــدافــع عنكم رأيــه وذوابــلُــه
به الله أعطانا حياة جديدة
رفهنا بها من ضنك بئس نطاوله
إليك أمــير المؤمنين زجرتها
تراقى بها بعد السُّهوب جراوله

إذا ما دنت غنى الرديف بذكره
فزفت زفيف الرأل فاجاه خاتله
ومازلت أدعو الله يبقيك سالماً
وأن بعادي عنك تطوى مراحله
وأنشد بيتا قاله بعض من مضى
وليس يموتُ الشعر لو مات قائله
إذا ظفرت منك العيون بنظرة
أثــاب بها مُعْيِي المطي وهازله
فأقسم لا أنفك ما عشت شاكراً
لنعماك ما غنت سحيراً بلابله
بسائرة تزهو بمدحك في الورى
ويصغى لها قُسُّ الكلام وباقِلُه
ويحدو بها الساري فيطرب للسرى
ويشدوا بها في كل صُقْع أفاضله
وثــن إلــهــي بالصلاة مسلماً
على خير مبعوث إلى من تراسله
وأصحابه الغر الــكــرام وآلــه
كذا ما بدا نجم وما غاب آفِلُه

وهذه قصيدة أخرى للشاعر ابن عثيمين، وهي تُعدُ من أشهر قصائده التي قالها في الملك عبدالعزيز:

عج بي على الربع حيث الرند والبان
وإن نــأى عنه أحباب وجــيران

فللمنازل في شرع الهوى سنن
يدري بها من له بالحب عرفان
وقــل ذاك لمغنى قد سحبن به
ذيل التصابي برسم الشجو غزلان
الــقــاتــلات بــلا عقل ولا قود
سلطانهن على الأمــلاك سلطان
لله أحور ساجي الطرف مقتبل
عذب اللمى لؤلؤي الثغر فتان
عبل الــروادف يندى جسمه ترفا
ظامي الوشاح لطيف الروح جذلان
كأنما الــبــدر في لألاء غرته
يا ليت يصحب ذاك الحسن إحسان
يهتز مثل اهتزاز الغصن رَنَّحه
سكر الصبا فهو صاحي القد نشوان
لو كان يمكن قلنا اليوم أبرزه
لينظر الناس كنه الحسن رضوان
قد كنت أحسب أن الشمل ملتئم
والحبل متصل والحي خُلْطان
فاليوم لا وصل أرجوه فيطمعني
ولا يطيف بهذا القلب سلوان
في ذمــة الله جــيران إذا ذكــروا
هاجت لذكرهم في القلب أحزان
فارقتهم أمــتري أخــلاف سائمة
يسوقها واســع المعروف منان

لعل نفحة جــود مــن مواهبه
يروى بها من صدى الإقتار عطشان
أُرِايِــشُ منها جناحا حَصَّةٌ قدر
شكا تساقطه صحب وإخــوان
وفي اضطراب الفتى نجح لبغيته
وللمقادير إســعــاد وخــذلان
فاربأ بنفسك عن دار تذل بها
لو أن حصباءها در ومرجان
طفت المعالم من شام إلى يمن
ومــن حجاز ولَبَّتْنَي خراسان
فما لقيت ولن ألقى ولو بلغت
بي منتهى السد هِمّاتٌ ووجدان
مثل الجحاجحة الغر الذين سموا
مجدا تقاصر عن علياه كيوان
الضاربي الكبش هبرا والقنا قّصِدٌ
والتاركي الليث يمشي وهو مذعان
والفارجي غمم اللاجي إذا صفرت
أوطابه واقتضاه الــروح ديان
والصائنين عن الفحشا نفوسهم
والمرخصيها إذا الخطي أثمان
خضل المواهب أمجاد خضارمة
بيض الوجوه على الأيــام أعوان
غر مكارمهم حمر صوارمهم
خضر مراتعهم للفضل تيجان

لكن أوراهـــم زنـــدا وأسمحهم
كفا وأشجعهم إن جـال أقـران
عبد العزيز الذي نالت به شرفا
بنو نـــزار وعـــزت منه قحطان
مقدم في المـعـالي ذكـــره أبـدا
كما يقدم باسم الله عنوان
ملك تجسد في أثـنـاء بردته
غيث وليث وإعـطـاء وحرمان
خبيئة الله في ذا الوقت أظهرها
وللمهيمن في تأخيرها شان
ودعـــوة وجبت للمسلمين به
أمـا تـرى عَمَّهُمُ أمـن وإيمان
حاط الرعية من بصرى إلى عدن
ومن تهامة حتى ارتـاح جعلان
فجددوا الشكر للمولى وكلهم
يدعو له بالبقا ما بقي إنسان
ورب مستكبر شـوس خلائقه
صعب الشكيمة قد أعماه طغيان
تركته وحـده يمشي وفي يده
بعد المهند عـكـاز ومحجان
وعـازب رشـده إذ حـان مصرعه
بخمرة الجهل والإعجاب سكران
أمطرته عزمات لو قذفت بها
صم الشوامخ أضحت وهي كثبان

عصائبا من بني الإسلام يَقْدُمُهم
من جدك المعتلي بالرعب فرسان
ويل امه لو أتاه البحر ملتطما
آذيـــه الأســـد والآجـــام مــران
لأصــبــح الــغــر لا عــين ولا أثر
أو شاعفته قبيل الصبح جنان
ومشهد لك في الإسلام سوف ترى
يــوفى به لك يــوم الحشر ميزان
نحرت هديك فيه المشركين ضحى
فافخر ففخر سواك المعز والضان
أرضيت آبــاءك الغر الكرام بما
جددت من مجدهم من بعد ما بانوا
نبهت ذكرا تــوارى منه حين علا
للمارقين ضباب فيه دخــان
فجئت بالسيف والقرآن معتزما
تمضي بسيفك ما أمضاه قرآن
حتى انجلى الظلم والإظلام وارتفعت
للدين في الأرض أعــلام وأركــان
دين ودنيا وبأس في الوغى وندى
تفيض من كفه بالجود خلجان
هذي المكارم لا ما روي عن هرم
ولا الــذي قيل عمن ضم غُمدانُ
أقــول للعيس إذ تلوي ذفاريها
لإلفها ولها في الــدَّوِّ تَحْنَانُ

ردي مياهًا من المعروف طامية
نباتها التبر لا شيح وسعدان
تــدوم ما دمت للدنيا بشاشتها
فاسلم فأنت لهذا الخلق عمران
ثم الصلاة على الهادي الذي خمدت
في يــوم مــولــده للفرس نــيران
والآل والصحب ما ناحت مطوقة
خضبا تميد بها في الدوح أغصان

وبعد:

ونحن نصل إلى نهاية هذا البحث المختصر عن موضوع في غاية الأهمية، وله دلالاته المختلفة لا بد أن نشير إلى آثار ذلك الأمر على المستويين الداخلي والخارجي

الأول: أن ما قام به الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ من توحيد للإمامة في الحرمين ظهر أثره في أنحاء العالم الإسلامي وخاصة في جوامعها الكبرى كالأزهر في القاهرة والأموي في دمشق، وكان لهذا الأمر أثره وصداه الطيب لدى علماء المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي.

الثاني: أن توحيد الإمامة في الحرمين الشريفين له دلالة واضحة وكبيرة على وحدة هذا الوطن تحت مسمى ـ المملكة العربية السعودية ـ وأن الأمر لم يكن عابراً وإنما له من الدلالات الشيء الكثير، فهو توحيد للهدف وتوحيد للمعتقد وتوحيد للأرض.

نسأل الله أن يديم على بلادنا ـ المملكة العربية السعودية ـ أمنها وإيمانها وعزتها.

وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،،،

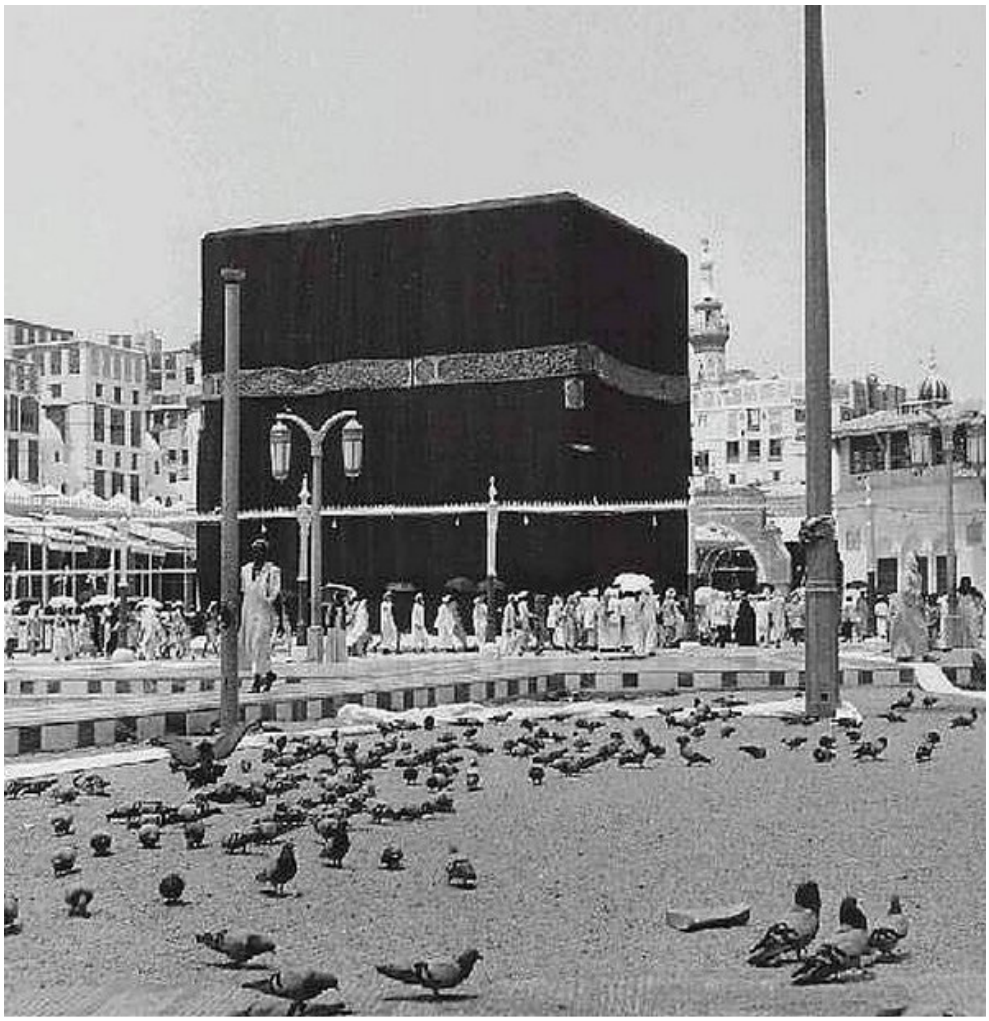

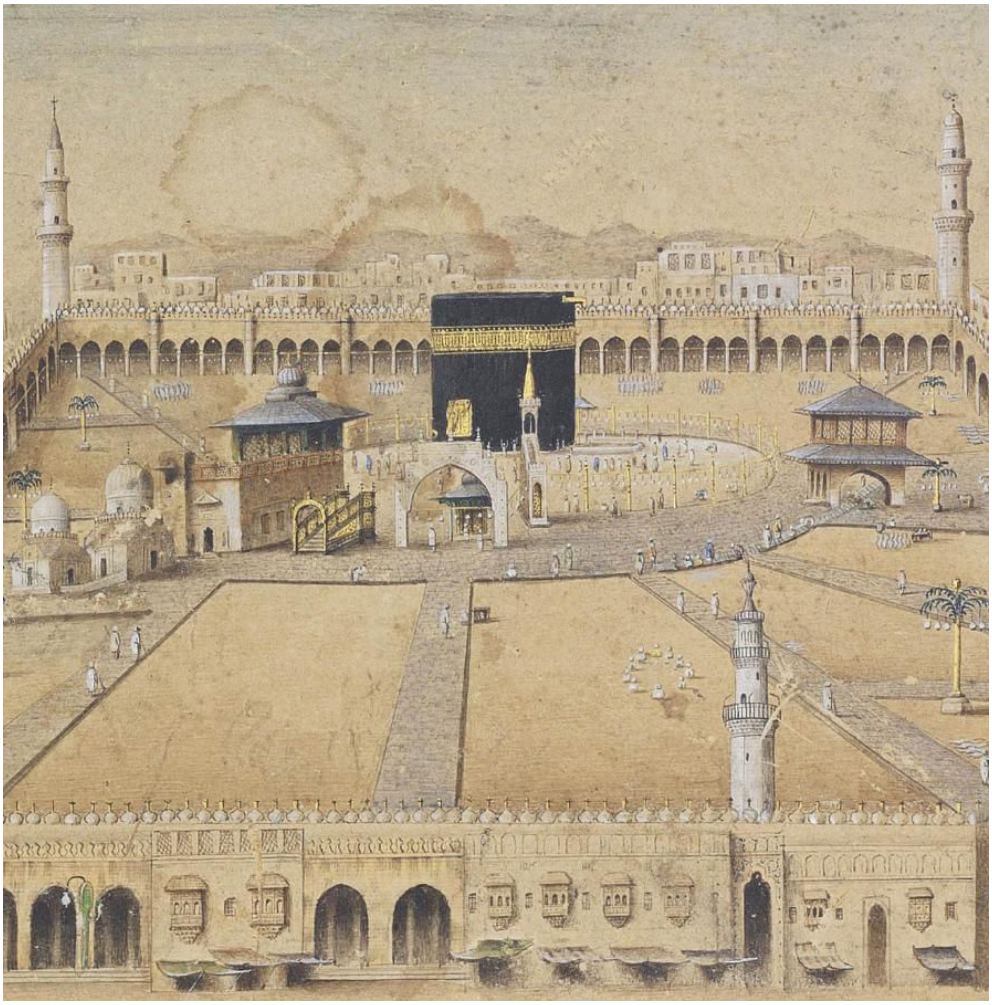

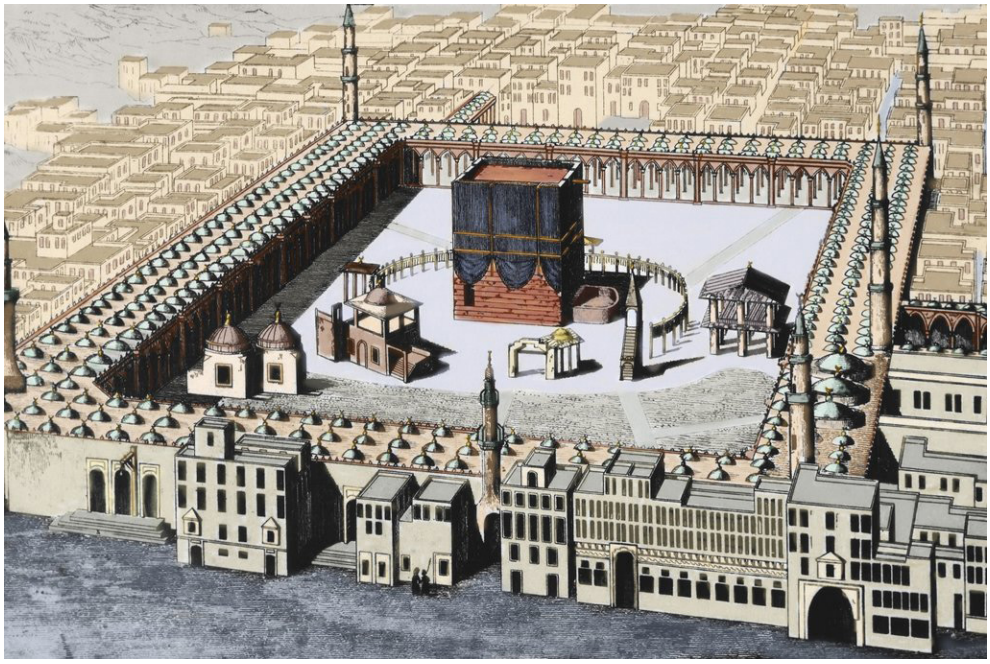

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٩٢٨٥
ردمك: ٧-٧٤٢٧-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

الملك عبد العزيز آل سعود
(رحمه الله)
وتوحيد إمامة المصلين في الحرمين الشريفين

تأليف
د. فيصل بن مشعل بن سعود بن عبد العزيز

١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م